

هدية المصلد
رسالة الصيام والزكاة

الوعيد الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



هَدَى لِلنَّاسِ وَبَيَّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ
فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ

إهداء

إهداء 2005

المرحوم الدكتور / محمد زكي العشماوى
الإسكندرية



بسم الله الرحمن الرحيم
 شهر رمضان المبارك الذي أنزل فيه القرآن
 هدى للناس وبينات على الهدى
 والفرقان شهر منكم الشهر فليصمه

التمن :

السكويت	٥. فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥. فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	دوم وربع
الخليج العربي	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥. قرشا
مصر والسودان	٤. مليما

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العاشرة

العدد ١١٧

غرة رمضان ١٣٩٤ هـ

سبتمبر ١٩٧٤ م

سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وإيقاظ
 الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية
 والسياسية

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
 بالكويت في غرة كل شهر عربي
 الاشتراك السنوي للهيئات فقط

اما الافراد فمشترون رؤسا

مع متمد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي - وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية

سندوق بريد : ١٣ - كويت - هاتف : ٤٢٨٩٣٤ - ٢٢٠٨٨

الصَّيَامُ وَالْقُرْآنُ

يظل علينا شهر رمضان بهلاله المبسوم ، ويظلتنا بياومه الكريمة ولياليه المباركة ، ويخلق بنا في سجاوات الطاعة وروضات العبادة ، ويجعلنا أهلاً للضيقات الإلهية والنفحات القدسية وموضعا لنظر الله ورضوان الله .
في هذا الشهر العظيم تزين السماء وتنزل الملائكة وتفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النار وتحجب الشياطين ، ويتجلى الله على عباده الصائمين القانتين فيفقر لهم ، ويستجيب دعاءهم ، ويوفيه أجورهم بغير حساب .
وفي هذا الجو الروحي الطهور تزكو النفوس وتطهر القلوب ، وتصفو النوايا ويصدق العزم ، تنصفر الدنيا وتعظم الآخرة ، ويحلو كل ما يقرب من الله ، ويكره كل ما يباعد عن الله ، وتانسى المشاعر والجوارح بالمواقفة لكل ما يرضى الله ، وتنفر وتفر من كل ما يفضب الله ، ويبلغ الصائم القائم مقام الإحسان ، فيسد الله كانه يراه ، ويتصرف في دنياه كانه يراه .. يتقن كل عمل ، ويحسن كل تصرف ، ويراقب الله في كل سلوك ، ويقوم أوامره في تسون الحياة كافة .

الإحسان مراقبة ومشاهدة ، والرقابة الإلهية لا تتناول عملا وتدع آخر ، بل تتناول الأعمال كلها من الصلاة التي يقف فيها المسلم خاشعا بين يدي الله إلى الحرقة والمهنة التي يباشرها قياما بواجبه في الحياة .. الإحسان الذي يبلغه العبد بالصيام والقيام وتلاوة القرآن رحب الدائرة يشمل الأعمال والأحوال كلها : (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه) .



إن الله عز وجل شرف هذا الشهر وميزه بامرير فرض الصيام وانزال القرآن فيه قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه) .

وقد اقتضت الحكمة العالمة أن يكون هذا الاقتران والارتباط بين الصيام والقرآن فالصيام اعداد وتهية للنفس لتلاوة القرآن وتدبر معانيه ، والصيام رياضة وترويض للقرائز الانسانية على الخضوع والالتقاد لما أنزل الله ، وبالصيام تطمئن النفس الى الحق وترقى الى افقها الروحي وتستعد لتلقى الفيض الإلهي من كلام الله .

وهذا موسى عليه السلام قبل أن يتلقى كلمات ربه وأعدّه الله ثلاثين ليلة وأضاف إليها غسرا فبلغت عدتها أربعين ليلة يروض فيها موسى نفسه بالصوم حتى تصفو روحه وتقوى على تلقي كلمات ربه .

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى (واعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) قال المفسرون : فصامها موسى عليه السلام وطواها ، فلما تم الميقات ثلاثين ليلة استاك بلقاء شجرة - بقي شيء من سلطان النفس وحكم الهوى عليه - فأمره الله أن يكمل أربعين .

إن الصوم يملأ النفوس روحانية وإبداعا ، ويشرق على القلوب بهجة وسناء ويطلع على العقل شفاقة علوية ترفعها من حضيض الحيوانية المادية إلى مستوى الملائكية والروحانية ، فيكون أهلا لمجالسة الحق ومناجاته بتسلاوة كلامه ومدارسة قرآنه .

إن سيد الصائمين محمدا صلى الله عليه وسلم كان يعني بمدارسة القرآن في رمضان ، وكان جبريل عليه السلام ينزل عليه كل ليلة منه فيدارسه القرآن : يقرأ ويسمع جبريل ، ثم يقرأ جبريل ويسمع محمد . روى الإمام البخاري ومسلم عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة .

وكان السلف الصالح يعتمدون على العصي من طول القراءة في صلاة التراويح ، وما كانوا يصومون إلا عند الفجر ، وبعضهم كان يختم القرآن في قيام رمضان في كل ثلاث ليال ، وبعضهم في عشر ، وكانوا زمن التسعين يقرأون بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات ، ويرون أن قراءتها في اثنتي عشرة ركعة من التخفيف ، وكان لأبي حنيفة والثقات سنون ختمة في رمضان ، وكان مالك إذا دخل رمضان نفرغ لقراءة القرآن .

إن هذا الشهر الكريم يشدنا إلى كتاب الله الخالد الذي لا ريب فيه . المبارك القيم الذي لا عوج فيه . العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . المثالي الذي تقتسمر منه جلود الذين يخشون ربهم . يشدنا إليه حفظا وتلاوة ، وفهما وعملا ، والصوم خير وسيلة تقربنا من الله ، وترطب السننفتنا بكلامه ، وتمحننا عقوه ونحقق لنا رضاه .



إننا نعيش في عصر كل ما فيه جديد كل الجدة في حياة البشرية المادية ، وقد حقق الإنسان في هذا القرن من التقدم العلمي والتطور المادي ما لم يحققه في القرون السابقة ، وحسبه أنه انتقل من الأرض إلى السماء ، ولكنه يحتاج هذا أخفق إخفاقا كبيرا في مجال القيم الإنسانية ، وكل ما أحرزه من تقدم لم يزد إلا ضراوة وحيوانية ، ومعنى هذا أن جميع النظم والقوانين والمناهج التي وضعت لتربية الإنسان وأصلحها فشلت فشلا ذريعا ومن أجل هذا تنادي المصلحون لإعادة بناء الإنسان من جديد ، والمنهج الوحيد لأصلاح النفس الإنسانية هو منهج الله المتمثل في كتابه وسنة رسوله ، والوسائل للانتصار على النفس والنسamy بها هي طاعة الله وعبادة الله وفي مقدمتها الصوم ، ثم أضافتها وتحريكها بالقرآن الكريم (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) و (الصوم حنة) .

رضوان البيلي

دراسات في القصص القرآني :

المرأة ومكانها في

١ - للمرأة مكانها في الحياة مع الرجل .. ونشاطها الانساني في الحياة مكمل لنشاط الرجل ، ولا يختلف عن نشاطه الا بالقدر الذي يختلف فيه تكوينهما العضوي وما ينشأ عن هذا الاختلاف من وجود استعدادات خاصة في كل منهما تجعله أقدر على القيام ببعض الوظائف من صاحبه ، وأكثر استعدادا له منها ..

فالمرأة والرجل هما الانسان ، كل منهما ذهب بأحد شطريه .. فهما متماثلان ، ومتغايران في وقت معا .. وبهذه النظرة ، ينظر القرآن الكريم الى المرأة في تشريعاته وأحكامه، وفي أوامره وزواجره، وفي تعامله وصاياها ، وفي حسابه وجزائه .. فهو يسوى بينهما حين يكون الحكم متعلقا بشأن انساني ، يقوم على اصل الفطرة المركوزة في الانسان .. ثم هو يفرق بينهما حين يكون الامر شأنا خاصا بالرجل ، أو امرا منوطا بالمرأة .

٢ - وفي القصص القرآني ، يبرز وجه المرأة كعنصر أصيل من عناصر هذا القصص ، حيث تأخذ المرأة مكانها في كائنات وكامراتها معا .. فهي كائنات لها دورها الذي تشارك به في صنع الاحداث ، وفي دفع مسيرة الحياة الانسانية ، وما يتطلبه ذلك من نشاط مادي ، وعقلي .. وهي كائنات لها دورها في القيام على وظيفة الامومة ، ورعاية الاطفال ، والسهر على راحتهم ، واعدادهم للحياة اعدادا جسديا ، وعقلي ، وخلقيا ..

القصص القرآني

للاستاذ : عبد الكريم الخطيب

فهى انسان ، عاقل رشيد ، يزن الامور بعقله ، ويعترف على مواقع الخير ببصيرته ، ثم الى جانب هذا العقل ، وهذه البصيرة ، ارادة قاطعة ، ورأى جميع ، يقهر الحدود ويحطم القيود ، ليعبر عن مشيئته وارادته على الوجه الذى شاء واراد .. ولهذا كانت المرأة مناطا للتكليف ، واهلا للثواب والعقاب ، شأنها فى هذا شان الرجل سواء بسواء ..

وفى مخاطبات القرآن الكريم للانسان بقوله تعالى : (ياايها الانسان) خطاب للرجل والمرأة معا .. مثل قوله تعالى : (ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) (٦ الانشقاق) . ومثل قوله جل شأنه : (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان .. انه كان ظلوما جهولا) (٧٢ : الاحزاب) .

ومثل مخاطبات القرآن الكريم للانسان ، مرادا به الرجل والمرأة ، مخاطباته للناس ، كقوله تعالى : (ياايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) (١ : النساء) — وكقوله سبحانه : (ياايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) (٣٣ : لقمان) .

وهكذا تجىء مخاطبات الحق سبحانه وتعالى للرجال والنساء

خطابا عاما للانسان ، وللناس حيث الانسان ذكر او انثى ، وحيث الناس ذكور او إناث ..

هذا ، وقد تجيء مخاطبات الله سبحانه وتعالى للرجال وللنساء مفصلة ، بمعنى أن يذكر الذكور ، وفى مقابلهم الاناث ، وفى هذا ما يجعل التوازن قائما بينهما فيما تقرر الشريعة لهما من حقوق ، وما تفرض عليهما من واجبات ، كما يقول سبحانه : (ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما) . وكتوله سبحانه : (فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او أنثى ، بفضمن من بعض) .

٣ - وكما أن فى الرجال الاخيار والاشرار ، والعلاء والسفهاء ، فكذا فى النساء الخيرات والشريرات ، والعاقلات والسفهيات .. انهم جميعا ثمر شجرة واحدة ، وكما يكون فى ثمر الشجرة السليم والمعطوب ، والجيد والرديء ، فكذا كانت شجرة الانسانية ، وما تعطى من ثمر ، بعضه صالح وبعضه فاسد ، وبعضه جيد ، وبعضه رديء .. (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) (٣٥ الانعام) . وفى القصص القرآنى نماذج متعددة للمرأة فى مستوياتها المختلفة ، فى علوها واسفائها ، وفى رشدتها وغيبها ، وفى هداها وضلالها .. شأنها فى هذا شأن الرجل سواء بسواء ..

وتحت سقف البيت الواحد ، يعرض القصص القرآنى الزوجين ، المرأة والرجل ، وكل منهما قد أخذ طريقا غير طريق صاحبه ، فتارة يكون الرجل غويا ضالا ، غارقا فى الضلال ، على حين أن امراته تكون على رشد وهدى ، وعلى ايمان وتقوى ، كما ذكر القرآن الكريم ذلك عن امرأة فرعون التى كانت فى صحبة هذا الانسان الذى أعماه الغرور ، فكفر بأنعم الله ، ثم تبادى فى كفره وطفيلانه حتى ادعى الالهية لنفسه ، وأبى على من تحت سلطانه الا أن يتخذوه الها يعبد من دون الله ، وقد استجابوا له ، واتبعوا ضلاله وهواه ، كما يقول سبحانه : (فاستخف قومه فاطاعوه ، أنهم كانوا قوما فاسقين) ..

ومع هذا الجو المكثف ، وفى وسط هذا الظلام الكثيف ، فان شعاعاً من نور قد ظل مضيئاً فى قلب امرأة فرعون ، فأبصرت طريقها الى الحق ، ووجهت وجهها الى الخالق المعبود ، رب السموات والأرض وما فيهن ، وخرجت من سلطان فرعون ، وحررت ضميرها من تسلطه على إيمانها بالله رب العالمين ، فكان لها عند الله تعالى هذا الذكر العظيم فى القرآن الكريم ، يرى فيه المؤمنون المثل الصادق للعقل الرشيد ، والإرادة القوية ، والعزيمة الماضية فى امرأة يرجع ميزانها اعداد الحسا من الرجال الذين زهدوا فى عقولهم ، واتبعوا أهواءهم ، فيقول جل شأنه : (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون ، اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ، ونجنى من فرعون وعمله ، ونجنى من القوم الظالمين) (١١ : التحريم) وقد استجاب الله تعالى لها دعائها ، وأعد لها بيتا فى الجنة .. مهيناً لها ما أعطاها ربها من كريم فضله وعظيم إحسانه ..

وعلى عكس هذا ، نجد المرأة التى تلج فى الضلال والعناد ، وتأبى أن تفتح عينها لأنوار الحق التى تتلأأ فى البيت الذى يضمها مع زوجها ، فتترك رأسها ، وتأخذ طريقها مع الغواة الضالين ، وترد معهم موارد الهالكين .

فهذه امرأة نوح عليه السلام ، تتأبى عليه أن تستجيب لدعوة الحق التى يدعو بها ، وتصرف فى عناد لثيم الا تنصر دعوته ، والا تكون فى جبهة الايمان مع المؤمنين الذين استجابوا له .. ومثل امرأة نوح امرأة لوط التى أبت أن تأخذ مكانها مع هذا النبى الكريم ، وأن تقفو أثره وتتبع خطوه ، وتكون دعوة من دعوات الحق والخير التى يدعو اليها ..

وقد عجل الله تعالى للمراتين العقاب فى الدنيا ، وأعد لهما العذاب الاليم فى نار جهنم فى الآخرة .. فيقول سبحانه عن امرأة نوح وامرأة لوط ، وقد ضربهما الله مثلا للكفر والضلال ، وما يلقى الكافرون والضالون : (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) .

انهما امرأتان فى بيت النبوة ، كل واحدة منهما امرأة نبى ، تملأ به أنوار السماء ، وتغدو وتروح فيه ملائكة الرحمن ، وهى تشهد هذا وتحضره ، ثم هى مع هذا تأبى الا جاحها وتنفار عن الحق والخير ، والا ايمانها واصراراً على الضلال والكفر ..

٤ — وهذا موقف تبدو فيه المرأة ، وكأنها خارجة على طبيعتها منحرفة عما ينبغى أن يكون منها من القيام وراء زوجها تشد أزره ،

وتأخذ بناصره ، وخاصة اذا كان بالمكان الذى يدعو فيه الى الخير ، ويشير بالرحمة والمودة ، ثم لا يجد من الناس الا نفورا منه ، واستخفافا به ، وعدوانا عليه ، انها ان لم تنتصر له فى تلك الحال لشخصه وللحق الذى يدعو اليه ، فلتنتصر له فى شخص رجلها وابى ابنائها .. فان لم يكن منها هذا او ذاك ، فلتعطفها عاطفة الرحمة من الضعيف الى الضعيف ، فالمرأة بطبيعتها ضعيفة تكره التسلط، والبغى، يتربى فى حجرها الانسان فى اضعف احواله ، فتغذوه بحسناتها ، وتكسوه برحمتها وعطفها ، وتسهر عليه بقلبيها وعقلها .. والنبي الكريم ، الذى سكن اليها وسكنت اليه فى حال قد اجبعت عليه فيها قوى الشر والبغى ، تنوشه بالسنتها ، وترميه بالحقد والشئان من أعينها ، وتلقاه بالوان الضر والاذى فى كل موقف يقفه وكل سبيل يسلكه .. وتلك حال من شأن المرأة فيها أن تكون ارق قلبا والين جانبيا من الرجال ..

وعلى أى فلا بد أن تقيم الحياة فى المجتمع الانسانى شواهد للبحر فرفين من الرجال والنساء على السواء ..

فأمر نوح وامرأة لوط مثلان للشواذ المنحرفات من النساء .. فاذ كان فى النساء — وهذا فى الكثير الغالب — من يكن مع رجالهن اينما كانتوا ، فان فيهن هذا الصنف المشاكس المخالف الذى لا يرضى أن يعيش فى غير الخلاف والمشاكسة .. واذا كان كثير من النساء قد أبى عليهن عقلهن ورشدهن أن ينسقن فى طريق السفه والضلال الذى ركبته أزواجهن ، فان كثيرا منهن ايضا قد التفتن مع أزواجهن على الباطل ، وتقاسمن معهم الشر الذى يغرسونه فى منابت الخير .. وفى امرأة أبى لهب المثل لهذا ، فقد كان لها فى القرآن الكريم مع زوجها أسوأ المثل للشر يجتمع الى الشر ، والسفه يتآخى مع السفه .. فيقول سبحانه وتعالى : (تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامراته حمالة الحطب ، فى جيدها حبل من مسد) (سورة المسد) .

هـ — ثم اتنا نجد فى القصص القرآنى المرأة (الانثى) تستجيب لطبيعتها فى طلب الزوج ، وفتح منافذ وصوله اليها ، فى تلطف ومداراة ، من غير أن يחדش حياؤها ، او تجرح كبرياؤها ، فتبدو مطلوبة وهى طالبة وتظهر متبمنة وهى راضية .. وهذا ما يقتضيه علينا القرآن الكريم عن ابنة النبي الكريم شعيب عليه السلام ، مع موسى عليه السلام حيث يقول سبحانه : (ولما ورد ماء مدين وجد عليه

أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهما امرأتين تزدودان ، قال
ما خطبكما ؟ قالتا لا نسقى ، حتى يصدر الرعاء ، وأبونا شيخ كبير ..
فسقى لهما ، ثم تولى إلى الظل ، فقال رب انى لما أنزلت إلى من خير
فقير) (٢٣ و ٢٤ القصص) .

فالمرأتان اللتان تزدودان غنهما ، هما ابنتا شعيب عليه السلام ،
وقد سقى لهما موسى ، دون أن يعلم من أبوهما .. (مجاعته
أحداهما تمشى على استحياء ، قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما
سقيت لنا) (٢٥ : القصص) لقد أرسل شعيب إحدى ابنتيه لتدعو
هذا الطارئ الغريب الذى سقى لهما ، ليكون فى ضيافته يوما ، أو
بضعة أيام .. (مجاعته أحداهما تمشى على استحياء ..) لقد
تجسد الحياء حتى لكأنه بساط تمشى عليه .. أنها لا تمشى على
الأرض ولكنها تمشى على حياء ، تتعثر فيه خطاها ويضطرب كيائها
.. فإذا وصلت إلى حيث يجلس موسى ، خاطبته فى خفر ، وعفة
وحياء قائلة : (ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) .

ويستجيب موسى لهذه الدعوة الكريمة ، ويمشى بين يدي تلك
الابنة التى حبلت إليه دعوة أبيها ، حتى يلتقى بشعيب ، ويأنس
إليه ، ويعرف كل منهما صاحبه ، ويعلم شعيب سبب مجيء موسى
فأرا من مصر إلى أرض مدين ، فيقول له شعيب مطمئنا : (لا تخف
نجوت من القوم الظالمين) (٢٥ : القصص) .

وهنا تجدها ابنة شعيب فرصة فى الإمساك بهذا الرجل القوى
الأمين أن يغفل : (قالت أحداهما يا أبت استأجره أن خير من
استأجرت القوى الأمين) .

إنها هى نفس الابنة التى بعث بها أبوها إلى موسى لتدعوه إلى
أبيها ، لينزله منزل الضيفان ، وهو الغريب المنقطع عن أهله ..
٦ - وفى القرآن نجد المرأة (الأم) التى تفيض مشاعرها
بعاطفة الأمومة ، فتذهل معها عن كل شيء ، وتنسى معها كل شيء
.. فهذه امرأة فرعون ، وقد جاء الملامن أعوان فرعون بهذا الوليد
من بنى - إسرائيل - وهو موسى عليه السلام - ليقطله كما يقتل
غيره من مواليد بنى إسرائيل ، وما أن تكاد المرأة ترى الوليد الذى
التقطوه من اليم ، يعرض للقتل ، حتى تصرخ فيها عاطفة الأمومة ،
ولا تحفل بما قرره فرعون فى أمر هؤلاء المواليد ، ولا ترهب سلطانه ،
وما قد تلقاه من مصير ، فتقول : (قررة عين لى ولك ، لا تقتلوه ، عسى

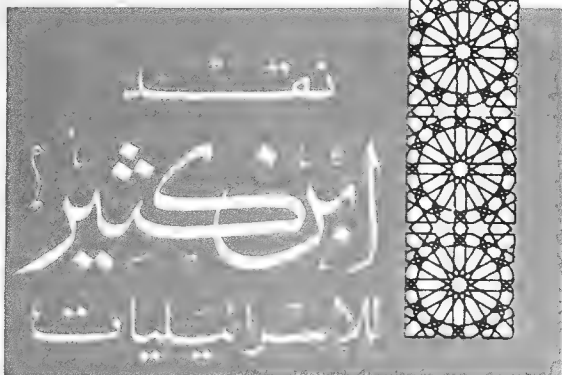
ان ينفعنا أو نتخذة ولدا) (٩ القصص) ويفيق فرعون من هذه المفاجأة وتحرك هذه الكلمات في نفسه عاطفة الأبوة التي حرمة الله منها ، فيمسك من قتل هذا الوليد ، أرضاء لزوجيه ، وترضيها لمشاعرها وقد حرّمها الله الولد منه .

٧ - ومن هذا نرى أن المرأة نسبيـج مـتـلاصـم من التـركـيب الطـبـيـعـي للحياة الإنسانية ، وأنها تأخذ مكانها في القصص القرآني كإنسان ، وكأنثى معا .. أما ، وزوجة ، واختا ، وابنة ، تقسم بوظيفتها في الحياة ، بهلا يخرج عن طبيعتها كأنثى ، فتعتمد ، وتضلل وتستقيم وتتحرف ، وهي في جميع أحوالها أنثى تنظر الرجل ، وتقاسمه الحياة من غير أن تزاحمه في وظيفته كرجل ، ومن غير أن يزاحمها الرجل في وظيفتها كأنثى .. وبهذا تنتظم حياة الجسد الاجتماعي ، الذي يقوم كل عضو فيه بوظيفته التي لا يقوم بها غيره ، والتي ان كلف القيام بوظيفة غير وظيفته عجز ، ودخل من عجزه هذا الاضطراب والاختلال في توازن الجسد كله .

والقصص القرآني لا يستجلب المرأة استجلابا لاثارة العواطف ، وتهيج المشاعر ، كما هو الشأن الغالب في القصص الأدبي ، الذي تستجلب له المرأة لاثارة الغرائز ، وتهيج المشاعر ، واسترضاء القراء لهذا القصص ، أو المشاهدين له في عمل مسرحي أو سينمائي .

فالقرآن اذ يذكر المرأة في قصة من قصصه فائما يستدعيها من الواقع الذي كان مشهودا في يوم من الأيام ، ثم يحركها وينطقها بها كانت قد تحركت أو نطقت به ..

فكل امرأة جاء ذكرها في القصص القرآني ، سواء ذكرت باسمها ، كحريم ابنة عمران ، أو بصفتها كأمراة نوح ولوط ، وأبي لهب وكأمراة فرعون - كل امرأة من هؤلاء كان لها مكانها في الحياة ، وكان لها دورها على مسرح هذه الحياة - فهي - والأمـر كـذلك - حـقـيـقة تاريخية ، لا شك فيها ولا امتراء ، وصورتها في القصة القرآنية ، هي صورة مصغرة لها ، تحمل أبرز ملامحها ، وأوضح صفاتها .. فما ذكر القرآن الكريم في قصصه الا الحق ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : (وبالحق أنزلناه ، وبالحق نزل) (١٠٥ : الإسراء) .. انه كلام الله ، والله تعالى هو الحق ، وكلامه الحق : (قوله الحق وله الملك) (٧٣ : الأنعام) .. (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) .



الاستاذ : اسماعيل سالم عبد العال

(٢)

ونعرض منهج ابن كثير في نقده
للإسرائيليات .

من الأمور البدهية أن دين الاسلام
قد كمل في عقيدته وشريعته ومنهجه
منذ انتقل المبلغ الأعظم — صلى الله
عليه وسلم — إلى الرفيق الأعلى .
وإذا كان من المستحيل — عقلاً —
أن تمنّ قفّة أضحل ماؤها ، وتعكر
وردها وقل خيرها على نهر فاض
ماؤه ، وصفا ورده ، وكثر خيرها ،
فمن المستحيل كذلك أن تضيف
الإسرائيليات شيئاً ذا بال يكمل ديننا
بعد نقصان أو يوضحه بعد ابهام !
أن من الخطأ البين الذي وقع فيه
الكثيرون من المفسرين — غفر الله
لهم — أن توضع كلمات إسرائيلية لا

أوضحت في المقال السابق الذي
نشر بالمععدد رقم ١٠٧ أقسام
الإسرائيليات وموقف ابن كثير منها :
فالأول : ما علمنا صحته مما بأيدينا
من الحق . وهو صحيح
مقبول .

والثاني : ما علمنا كذبه مما عندنا من
الأدلة الصادقة . وهو
مردود مرفوض .

والثالث : وهو المسكوت عنه . لا
نؤمن به ولا نكذبه .
وتجوز روايته .

ونزيد الأمر وضوحاً — في هذا
المقال — فيما يتعلق بالقسم الأخير .

وهذا المنهج الجيد الذي سار عليه ابن كثير في تفسيره نجده أيضا مطبقا في موسوعته الكبرى : (البداية والنهاية) في التاريخ .

وإذا كان المؤرخون يتساهلون في ذكر كثير من الأخبار الواهية ، ويجمعون بين الغث والسمين ، والسقيم والصحيح بحجة (أن من نقل إليك فقد حملك) فإن ابن كثير — وهو المحدث الدقيق — قد أعرض عن الألف الاسرائيلي الفاضح ، والأخبار التي لا يقبلها عقل ولا يقرها نقل . غير أنه إذا ذكر شيئا من الاسرائيليات التي أفن الشارع في نقلها مما فيه بسط لمختصر وتسمية لهم ورد به شرعا مما لا فائدة في تعيينه ، فإنه يذكره على سبيل التحلي لا على سبيل الاحتجاج إليه ، والاعتماد عليه ، وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — ما صح نقله أو حسن ، وما كان فيه ضعف يبينه (٤) .

قد يشعر كلام ابن كثير هذا ، بأن تشدده قد قل ، وحنته قد هدأت عما رآناه في التفسير . وهذا حق . وما كنا نود أن يذكر شيئا من الاسرائيليات لا على سبيل التحلي ولا غيره .

وهذا الإحساس جال في خاطر ابن كثير ، فعاد وقرر أنه قد اتخذ منهجا فريدا في البعد عن الاسرائيليات والخرافات ، واتكأ ما

وزن لها بجوار آيات الله على أنها تفصيل لجمل أو توضيح لمبهم ! ذكر ابن كثير سبب رفضه للاسرائيليات فقال عند تفسير قوله تعالى : « والقي الألواح واخذ براس أخيه يجره إليه » (١) .

« روى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة . وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء ، وهو جدير بالرد ، وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب ، وفيهم كذابون ، ووضاعون وأماكون ، وزنادقة » (٢) .

وعقد موازنة بين علمائنا وعلماء أهل الكتاب فقال : « في القرآن غنية عن كل ما عده من الأخبار المتقدمة ، لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان ، وقد وضع فيها أشياء كثيرة ، وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء ، والسادة ، والانتقاء والبررة ، والنجباء من الجهادة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه ، وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه ، من منكره وموضوعه ومتروكه . ومكذوبه ، وعسروا الوضاعين والكذابين والمجهولين ، وغير ذلك من أصناف الرجال ، كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم أن ينسب إليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه » (٣) .

١ - الاعراض عن ذكر

الاسرائيليات :

يذكر ابن كثير في كثير من الآيات أنه قد قيل ههنا اسرائيليات ضربنا عنها صفحا ، وقد علل وجهة نظره في عدم إيرادهما بأن بعض الروايات يستحي من ذكرها ، وبعضها الآخر لا يذكره خشية الإطالة ، أو لما فيه من اختلاق واقتراء ، أو لقلّة ثمرته . وهذه نماذج لما أعرض عنه :

١ - قال في تفسير قوله تعالى : **فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ (٦)** ، « وقد ذكر ههنا اسرائيليات غريبة أضربنا عنها صفحا » (٧) .

٢ - وفي قصة أيوب عليه السلام ذكر كثير من الأساطير والآثار المختلفة والتي رواها الطبري وابن أبي حاتم والخازن وغيرهم ، لكن ابن كثير يقول في هذا :

« روى ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قصة طويلة ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه ، وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين ، وفيها غرابة ، تركناها لصال الطول » (٨) .

٣ - وفي تفسير قوله تعالى : **«وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسْفَانِ إِذْ تُسَوِّرُوا الْحُرَابَ ..» (٩)** والآيات المتصلة بقصة داود عليه السلام تجد كثيرا من المفسرين - كالطبري - على علو مكانته وشأنه - ومقاتل بن سليمان وغيرهما - يذكرون كلاما منكورا ، وقصصا ملفقا من شأنه أن يرمي الأنبياء بما ليس فيهم ، ويخل

خالف ديننا وإبطاله (وترك ما لا فائدة فيه مما قد يتزاحم على علمه ، ويتزاحم في فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب بما لا فائدة فيه الكثير من الناس إليه ، وقد يستوعب نقله طائفة من علمائنا ، ولستأ نحذو حذوهم ، ولا ننحو نحوهم ، ولا نذكر منها إلا القليل على سبيل الاختصار ونبين ما فيه حق وما وافق ما عندنا ، وما خالفه نوقع فيه الإنكار) (٥) .

ولعل هذا هو السبب في وقوف ابن كثير طويلا أمام الروايات التي ذكرها في موسوعته ، يوضح أسنادها وممتها ، وصحتها أو ضعفها ولا يقبل الروايات على علالتها بل يناقشها ، ويدقق فيها ، باعتباره علما من اعلام الحديث .

وهو منهج فريد في دراسة التاريخ لولا ما فاتته من الاسرائيليات في (البداية) وكذلك التفسير وهو - على كل حال - قليل . وسنذكر الاسرائيليات التي فاتته في تفسيره فيها بعد ، ونناقشها ان شاء الله .

منهج ابن كثير في

نقد الاسرائيليات :

لننهج ابن كثير في نقد الاسرائيليات جوانب متعددة :

١ - فقد يشير اليها ويعرض عنها .
ب - أو يذكرها متسوية الى (بعض المفسرين) مقتدا لها .

ج - أو ينسبها الى قائلها مع مناقشة لها وبيان لبطلانها .

زنادقتهم ، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحا ، ونحن فى غنية والله الحمد ، وفيما قص الله علينا فى كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يحوجنا الله ورسوله اليهم (١٢) .

٥ - وفى تأويل قوله تعالى : **(فلما اتفق قال سبحانه تبت إليك وإنا أول المؤمنين)** (١٣) قال : (وقد ذكر محمد بن جرير فى تفسيره هنا أثرا طويلا فيه غرائب وعجائب عن محمد بن اسحاق بن يسار ، وكأنه تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم) (١٤) . . وأحجم عن ذكر هذا الأثر الغريب والعجيب .

٦ - وفى تفسير الآيات المتعلقة بذى القرنين قال عند قوله تعالى : **(حتى إذا بلغ بين السدين)** (١٥) .

(وقد ذكر ابن جرير هنا عن وهب بن منبه أثرا طويلا عجيبا فى سير ذى القرنين ، وبنائه السد ، وكيفية ما جرى له ، وفيه طول وغرابة ونكارة فى أشكالهم وصفاتهم وطولهم ، وقصر بعضهم وأذانهم .

وروى ابن أبى حاتم عن أبيه - فى ذلك - أحاديث غريبة لا تصح أسانيدھا والله أعلم) (١٦) .

٧ - وفى (تفسير ابن مردويه) تجد منكرات وغرائب يقول ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : **(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)** (١٧) : (وقد روى ابن مردويه عند تفسير هذه الآية عن أبى ذر حديثا مطولا غريبا عجيبا جدا) (١٨) وأعرض عن ذكره .

بعضيتهم ، وجنابهم الأعلى .
لقد تأملت الاسرائيليات - ويئس ما قالت - أن داود تحايل على أحد قواده ليقتله حتى يتزوج امرأته بعد أن أعجبه حسنھا ، مع أن داود كان تحته من النساء - حسبھا تقول الرواية - تسع وتسعون زوجة . . الى آخر هذا الكذب المحبوك . .

وقد فسرت النعاج فى الآية - على باطلهم - بالنساء مع أن العلاقة بين الكلمتين مبتوتة . لكن ابن كثير - وهو الحافظ الناقد - يقول عند تفسير قصة داود :

(وقد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرھا مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت نبيھا عن المعصوم حديث يجب اتباعه) (١٠) .

٤ - قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى : **(وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب . .)** (١١) : (وقد روى ابن جرير فى هذا المكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا ، وهو حديث موضوع لا محالة لا يستريب فى ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث .

والمعجب كل المعجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته !!
وقد مرّح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزى رحمه الله بأنه موضوع مكذوب ، وكتب ذلك على حاشية الكتاب .

وقد وردت فى هذا آثار كثيرة اسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرھا لأن منها ما هو موضوع من وضع

٨ - لقد وقع كثير من المفسرين وعلى رأسهم الطبري - في أسرائيليات ما كان لهم أن يضمنوها كتبهم أو يسودوا بها صحتهم .

من ذلك ما يتعلق بقصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضي الله عنها . ولقد راج - للأسف الشديد - قصص اسرائيلي مخرف حول قصة الزواج وأسبابه قديما - كتفسير الطبري ومقاتل - وحديثا كما نجد في بعض كتابات المعاصرين .

يقول بعض من تصدوا للكتابة عن زواج النبي صلى الله عليه وسلم حديثا :

« أمينكر على بشر رسول أن يرى مثل زينب فيمحب بها ؟ وماذا يطلب من مثله في سمو خلقه ، وعفة ضميره أكثر من أن يشيح بوجهه عن أعجبه وهو يسبح باسم الله العظيم مقلب القلوب ؟ وأي ضبط للنفس ينتظر من بشر رسول أكثر من أن يجيئه زيد فيستأذنه من جديد في طلاقها نيأبي عليه الا أن يمسكها ويقتي الله ؟ » (١٩) .

وهذا كلام لا يليق بقدر النبي ومقامه الكريم ، وهل يصل الأمر الى حد يدافع فيه هؤلاء القوم عن اسرائيليات مكذوبة مفضوحة ، وضمت افتراء على رسول الله ، وعلى كتاب الله ؟

لقد بلغ الجهل والحق ببعض الناس أن وضع كتابا - كما يقول ابن القيم - في العشق ، وذكر فيه عشق الأنبياء ، وذكر قصة رسول

الله صلى الله عليه وسلم مع زينب ! يقول ابن القيم - صديق ابن كثير الحميم وزميله في الدراسة :

(وأما ما زعمه بعض من لم يقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم حق قدره أنه ابتلى به في شأن زينب بنت جحش ، وأنه رآها فقال : سبحان مقلب القلوب وأخذت بقلبي ، وجعل يقول لزيد ابن حارثة أمسكها حتى أنزل الله عليه (وأذ تقول للذي أنعم الله عليه ..) الآية .. فظن هذا الزاعم أن ذلك في شأن العشق . وصنف بعضهم كتابا في العشق ، وذكر فيه عشق الأنبياء ، وذكر هذه الواقعة وهذا من جهل هذا القائل بالقرآن وبالرسل ، وتحمله كلام الله ما لا يحتمله ، ونسبته رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى ما برآه الله منه) (٢٠) .

ان الغرض الاساسي في قصة زواج زينب رضي الله عنها هو احلال زواج الرجل من زوجة ابنه بالتبني ، وكانت العادة المتأصلة في نفوس العرب تآبي ذلك . فندب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو القدوة الحسنة لكسر هذا التقليد الذي استشرى في أرجاء الجزيرة العربية ولا يقره شرع الله الحكيم .

فاذا ورد - بعد ذلك - قصص يحاك حول رسول الله ، وأعجابه بزينب وأنها طلقت ليتزوجها الرسول لوقوعها في قلبه ، فهو محض افتراء وأفك مبين .

حقيقة كان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ، وكان أحبهن اليه عائشة رضي الله عنها ولم تكن

القيم منذ ما يزيد على ستمائة عام
انها غير صحيحة؟!
يقول الدكتور مصطفى زيد - مد
الله في عمره - وهو يرد على هذا
البهتان :

(ولسنا ندري كيف تبلغ بهم
الجرأة الى حد الدفاع عن اسرائيليات
لفقت قبل الطبرى ٢٠٠ ؟) ثم لماذا
يحتجون بمفسر كالزمخشري لم يعرف
بالحفظ والرواية في أمر يحتاج اليهما
ويغفلون مفسرا حافظا محدثا هو
الحافظ ابن كثير (٢٢) . ثم نقل
النص الذي أورده عن ابن كثير
سابقا .

هذه بعض الاسرائيليات التي
اعرض عنها ابن كثير ولم يذكرها في
تفسيره مع اشارته الى من ذكرها
وتنبيهه على عدم صحتها .

لكننا نجد ذكر في مواضع أخرى
كثيرة من تفسيره اسرائيليات منسوبة
الى قائلها وناقشها ويدحضها سنداً
ومتناً . وهو ما سنبيّنه في مقال آخر
إن شاء الله .

تبلغ محبته لها ، ولا لاحد سوى ربه
نهاية الحب كما يقول ابن القيم . وقد
صح عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال : (لو كنت متخذاً من
أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر
خليلاً) وفي لفظ (وان صاحبكم
خليل الرحمن) .

وها هو ابن كثير يعقب على تلك
الروايات التي لفقت من قبل فيقول :

(ذكر ابن جرير هنا آثاراً عن
بعض السلف رضى الله عنهم أجيبنا
أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها
فلا نوردها .

وقد روى الإمام أحمد هنا أيضاً
حديثاً من رواية حماد بن زيد عن
ثابت عن أنس رضى الله عنه فيه
غرابية تركنا سياقه أيضاً) (٢١) .

فهل يجوز لأحد من المستشرقين أو
من يدور في فلكهم أن يعتبر هذه
الروايات المكذوبة ، والاسرائيليات
الهابطة ، حقائق يجب الدفاع عنها
بعد أن قال ابن كثير وزميله ابن

-
- | | |
|--------|------------------------------------|
| (١) | الأعراف : ١٥٠/٧ |
| (٢) | تفسير ابن كثير : ٢٤٨/٢ ط الحلبي . |
| (٣) | المصدر السابق : ٨٩/٣ |
| (٤) | انظر البداية والنهاية : ٦/١ |
| (٥) | المصدر السابق : الموضع نفسه . |
| (٦) | القصص : ٨١/٢٨ |
| (٧) | تفسير ابن كثير : ٤٠١/٣ |
| (٨) | المصدر السابق : ١٨٨/٣ |
| (٩) | ص : ٢١/٢٨ |
| (١٠) | تفسير ابن كثير : ٢٠/٤ ، ٢١ . |
| (١١) | الاسراء : ٤/١٧ |
| (١٢) | تفسير ابن كثير : ٢٥/٣ |
| (١٣) | الأعراف : ١٤٢/٧ |
| (١٤) | تفسير ابن كثير : ٢٤٥/٢ |
| (١٥) | الكهف : ٩٢/١٨ |
| (١٦) | تفسير ابن كثير : ١٠٤/٣ |
| (١٧) | آل عمران : ١٠٦/٣ |
| (١٨) | تفسير ابن كثير : ٢٩٠/١ |
| (١٩) | انظر : نساء النبي : ١٤١ دار الهلال |
| (٢٠) | زاد المصداق : ١٥١/٣ |
| (٢١) | تفسير ابن كثير : ٤٩١/٢ |
| (٢٢) | سورة الأعراف عرض وتفسير : |
| | ١٥١ ، ١٥٢ طبعة دار الفكر العربي . |



للدكتور عبد الله محمود شحاته

هاجر المسلمون من مكة الى المدينة فرارا بدينهم وتركوا أرضهم وأموالهم وأخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله . وفى المدينة وضعت دعائم الدولة الجديدة وبني المسجد النبوى ، وكان دارا للعبادة وبرلمانا للشورى ومقرا لاستقبال الوفود ، ومنتدى للاجتماع ، ومؤسسة اجتماعية تربوية للتعليم والتثذيب .

وكان القرآن فى المدينة يشرح العقيدة ويوضح اصول الدين وأهداف التشريع وحقوق الاسرة ويبين نظام العلاقات بين الأفراد والجماعات . والاسلام فى طبيعته نظام عام ودعوة عالمية (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقد وقفت تريش فى سبيل هذه الدعوة ، وعرضت المسلمين لجميع صنوف الأذى والاضطهاد وصادرت أموالهم وحقوقهم ، والقانون الدولى يبيع للدول أن تقتص لنفسها من غرمائها ، وقد أباح الله للمسلمين أن يقاتلوا ، دفاعا عن انفسهم وردعا لطواغيت الكفر وتحطيطا لكبرياء الظالمين ، قال تعالى (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) .

قافلة أبى سفيان

نمى إلى علم المسلمين أن قريشا أسهمت فى تجارة عظيمة قدر ما فيها بخمسين ألفا من الدنانير وأن هذه التجارة تسير فى قافلة يحرسها ثلاثون رجلا أو أربعون برئاسة أبى سفيان وستذهب هذه القافلة إلى الشام للتجارة ثم تعود إلى مكة ، ولما كانت المدينة على طريق الشام كان لا بد لتجارة قريش أن تمر عليها ، وكان المسلمون يريدون أن يتعرضوا لهذه التجارة فى ذهابها فسافرت قبل أن يدركوها وحين قاربت التجارة العودة ، ندب الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه للتعرض لهذه التجارة وقال هذه عبر لقريش أخرجوا إليها عل الله أن ينفلكوها (١) .

نذير إلى قريش :

علم أبو سفيان بخروج المسلمين لاعتراض قافلته فأرسل إلى أهل مكة يستنفرها لحماية القافلة واستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى وبعثه مسرعا إلى مكة ، وما أن وصل إليها ضمضم حتى قطع أذنى بعيره وجدع أنفه وحول رحله ووقف هو عليه وقد شق قميصه من قبل ومن دبر وجعل يصيح : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة (٢) أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث . فخرجت قريش على الصعب والذلول وكان أبو جهل يستنفر الناس عند الكعبة ويحثهم على الخروج من مكة لقتال المسلمين وحماية التجارة .

نجاة القافلة :

نجا أبو سفيان بتجارته وسار متبعا ساحل البحر ، وأرسل إلى قريش يشير عليهم بالرجوع ، فقال أبو جهل : لا نرجع حتى نحضر بدرأ فنقيم فيه ثلاثا ننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا ، وقد عاب القرآن على المشركين غرورهم بقوله : (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) .

جيش المسلمين :

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم فى أصحابه من المدينة لثمان خلون من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة ، وكانت أمام المسلمين فى مسيرتهم رايتان سوداوان ، وكان معهم ثلاثة أفراس وسبعون بعيرا يتعاقبون عليها وكل أربعة يعتقبون بعيرا . وكان حظ النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا كحظ سائر أصحابه . فكان هو وعلى بن أبى طالب ومرثد بن أبى مرثد الغنوى يعتقبون بعيرا .

وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، مائتان ونيف وأربعون من الأنصار والباقيون من المهاجرين .

جيش المشركين :

تميزت قريش في بلاد العرب بالجاه والمنزلة الرفيعة وتمتع بالسيادة الدينية والسياسية وكان أهل مكة يتميزون بالغنى والثروة والتدريب على الحروب ، وكانوا على علم تام بضروب القتال كما هي الحال في العالم في ذلك العصر ، فكانوا يعرفون فنونه وأدواته كما تعرفها الأمم المحيطة بهم ، وبذلك أصبحت مهمة المسلمين في انتزاع النصر من قريش شاقة عسيرة .

كان جيش قريش ينطق بما لها من قدرة اقتصادية وعسكرية ، فكان عدد فرسانها مائة فارس ، وكان مشاتها ثلاثة أضعاف المشاة من أصحاب الرسول ، وكان معها من الأبل ما يكفي لأن يذبحوا لطعامهم عشرة كل يوم ، وكان كل ما يعرف من أنواع السلاح إذ ذاك متوافرا لها بسبب ثرائها ، واستعدادها الدائم للحرب وخصوصا هذه المعركة .

مقارنة :

كان جيش قريش أقوى وأكثر ولكن المسلمين كان معهم سلاح لا يملكه أعداؤهم :

معهم الله : أيدهم بنصره وأرسل النوم الى عيونهم ليلة المعركة ، وأنزل المطر ينمش أبدانهم ، والملائكة تؤيدهم (اذ يغشاكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام) .

معهم الله : أراد أن يجعل من بدر فرقانا بين الحق والباطل وأن تكون بدر هزيمة للمشركين ونصرا للمؤمنين وأن تدفن قريش كبرياءها وجبروتها وسطوتها في معركة بدر .

(واذا يمدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحسق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) .

معهم الله : نصرنا شرعه ونفذوا تعاليمه وأيدوا نبيه فبارك الله المسلمين وأيدهم بروح من عنده .

(والفر بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم أنه عزيز حكيم) .

معهم الله : كان يؤيد خطاهم ويبارك عملهم ويقوى جنانهم فتنهال سيوفهم على رقاب المشركين تحصدهم حصدا .

(اذ يوحى ربك الى الملائكة أتى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى في تلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) .

معهم الله : ومن وجد الله وجد كل شيء ومن فقد الله فقد كل شيء ، عند الله جنود كثيرة وأسلحة متعددة عنده سلاح الملائكة وسلاح الرعب والخوف وسلاح الريح العاتية (وما يعلم جنود ربك ألا هو وما هي إلا ذكرى للبشر) .

كيف دارت المعركة :

تلاقى الفريقان عند قرية بدر (٢) . وقد تقدم جيش المسلمين من الشمال الى الجنوب ، فلما وصل الى ساحة بدر كانت على ميمنته سلسلة من التلال

المرتفعة وكذلك على ميسرته سلسلة أخرى أقل ارتفاعا .
وتقدم جيش المشركين ، وكان أمامه كثبان من الرمل تقع غرب وادى بدر وعلى ميسرته أرض صخرية قليلة الارتفاع .
فى السهل الذى بين هذه الجبال وهذه الكثبان وقع أول تصادم بين القوتين ، وكانت الليلة التى سبقت المعركة شاتية ، فغط مطر غزير فى ناحية قريش ، وكان أقل غزارة فى ناحية المسلمين ، مما جعل مهمة قريش فى التقدم الى ساحة بدر أشق من مهمة المسلمين ، ولما تقدموا فى الصباح استقبلت المشركين الشمس من المشرق وهم متجهون اليها ، فكشفت من العوامل الطبيعية المؤذية لهم . نشبت المعركة كما تنشب المعارك فى ذلك العصر ، بفرسان يتقدمون الصفوف ويتصارعون ، فتقدم ثلاثة من بنى هاشم ، ولقيهم ثلاثة من صناديد المشركين ، وفى دقائق معدودة فتك المسلمون بأنسادهم فكان هذا استفتاحا حسنا للقتال . وهنا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك الأمر الحكيم ، أمر الكتيبة الاسلامية أن تتراص ولا تتحرك من مكانها ، وأن تصد بالنبال خيل العدو وهى تاتيها من جوانبها فمات قريش لأول مرة كيف تثبت الراجلة أمام حملات الخيالة غير هيابة ولا مرتبكة . وللخيالة رهبة عظيمة فى هجومها يعرفها الذين مارسوا الحرب وشاهدوها .

دعاء الرسول وبلاؤه :

حمى وطيس المعركة ورسول الله يدعو ويحرض على القتال ، ينظر الى المشركين فيقول . اللهم هذه قريش جاءت اليك بخيلها ورجلها تحارب دينك وتكذب نبيك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى .
ويلتفت الى المسلمين فيقول : اللهم هؤلاء أتباعى حفاة فاحملهم عراة فاكسهم جياح فأطعمهم ، اللهم ان تهلك هذه العصابة فأن تعبد فى الأرض .
والتفت النبى لأصحابه قائلا « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة » .
وفى حال النبى وأصحابه هذه نزلت هاتان الآيتان :
(يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وأن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وأن يكن منكم ألف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين) .
وكان صلى الله عليه وسلم ينظم الصفوف ويحث على الثبات ويبشر المؤمنين بالنصر ، وتناول حفنة من التراب فرمى بها فى وجه الكافرين وقال : شامت الوجوه لا يرغم الله الا هذه الماعطس فكانت حفنة التراب كأنها قنابل مسيلة للدموع فصار كل كافر يفرك فى عينيه والمسلمون يضربون أعناق الكافرين ويقطعون رقابهم . قال تعالى : (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) .

نتيجة المعركة :

انتهت معركة بدر بهزيمة المشركين فانطلق المسلمون فى أثرهم وائخذوا فيهم الجراح والقتل ، لا يلتفتون الى نهب ولا سلب ، كمادة العرب فى ذلك

العصر ، حتى انقلبت العظمة القرشية فرارا مخزيا ، وانكسارا غير مسبوق لقريش .

كانت قتلى قريش في هذه المعركة خمسة أمثال قتلى المسلمين وكان اسراهم مثل قتلهم ، ولكن ليس المهم في بدر عدد من دفنت قريش من القتلى ولا عدد الأسرى ولا مقدار الغنائم ، وإنما المهم هو أن قريشا دفنت في وادي بدر سيادتها على الجزيرة العربية ، وليس الأمر الخطير هو أن المسلمين أخذوا سبعين أسيرا ، ولكن الأمر الخطير هو أن هامت المشركين العالية ورعوسهم المرتفعة وأوداجهم المنتفخة قد شددت بالأغلال والقيود وسار المشركون وراء دواب المسلمين وخيولهم وقد طأطنوا ورعوسهم وأذلوا جباههم وأخنوا هاماتهم أمام قدرة المسلمين . وانتقلت القدرة العسكرية من مكة إلى المدينة .

إرادة الله :

أراد الله أن تكون بدر ملحمة لا غنية ، وأن تكون موقعة بين الحق والباطل ليحق الحق ويثبت ، ويبطل الباطل ويذهبه . وأراد أن يقطع دابر الكافرين فيقتل منهم فريق ويؤسر فريق ، وتذل كبرياؤهم وتدول دولتهم وتخفق راية الاسلام عالية جهارا نهارا عن استحقاق لا عن مصادفة وبالجهد والجهاد ، لا بالمال ولا بالأنفال .

نعم أراد الله للفئة المؤمنة أن تصبح أمة وأن تصبح دولة ، وأن يصبح لها سلطان وقوة . وأراد لها أن تقيس قوتها الحقيقية إلى قوة أعدائها فترجع ببعض قوتها على قوة أعدائها وأن تعلم أن النصر ليس بالعدد وليس بالعدة وليس بالمال والخيول والزاد ، إنما هو بمقدار اتصال القلوب بالقوة الكبرى التي لا تقف لها في الأرض قوة أبدا .

أراد الله أن تمضي بدر في التاريخ كله قصة نصر حاسم ، قصة فرقان بين الحق والباطل ، قصة انتصار الحق على أعدائه المدججين بالسلاح ، المزودين بكل زاد ، وهو في قلة من العدد ، وضعف في الزاد والراحلة .

قصة انتصار القلوب حين تتصل بالله وحين تتخلص من ضعفها الذاتي إلا أن غزوة بدر بملايساتها هذه ، لتمضي مثلا في التاريخ ، إلا وأنها لتقرر دستور النصر والهزيمة ، وتكشف عن أسباب النصر وأسباب الهزيمة . الأسباب الحقيقية لا الأسباب الظاهرة المادية . إلا وأنها لكتاب مفتوح تقرأه الأجيال في كل زمان وفي كل مكان ، لا تتبدل دلالتها ولا تتغير طبيعتها فهي آية من آيات الله ، وسنة من سنته الماضية في خلقه ما دامت السموات والأرض .

الثورى في معركة بدر

الاسلام دين حرية العقيدة وحرية الرأي (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) .

ومن مبادئ الاسلام ونظمه الثورى ، قال تعالى (نمبا رحمة من الله لنه لهم ولو كنتم فظا غليظ القلب لا تفوضوا من حولكم فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) .

وفي بدر ظهر مبدأ الثورى واضحا ظاهرا ، استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه في مبدأ القتال هل يقاتل أم يرجع ، وذلك أن المسلمين

خرجوا للاستيلاء على قافلة أبي سفيان ثم غرت القافلة وأصبحوا أمام جيش مدرب بأحدث الأسلحة معد بأقوى العدد والعتاد ، فكرر عليه الصلاة والسلام طلب المشورة من أصحابه وقال أشيروا علي ، فأدلى أبو بكر وعمر برأيهما ثم قام المقداد فقال : « يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » .

وسكت الناس . فقال الرسول : أشيروا علي أيها الناس . وكان يريد بكلمته هذه الانتصار الذين يبيعوه يوم العقبة على أن يمنعه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ، ولم يبايعوه على اعتداء خارج مدينتهم . فلما أحس الانتصار أنه يريد بهم ، وكان سعد بن معاذ صاحب رأيهم ، التفت إلى النبي الكريم وقال : لكانك تريدنا يا رسول الله ؟

قال : أجل . قال سعد : « لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق . وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض لما أردت فنحن معك » ، فوالذي بعثك بالحق نبيا لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد . وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء . لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، ولم يكذ سعد يتم كلامه حتى أشرق وجه الرسول بالمسرة وبدأ عليه كل النشاط وقال : سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم .

وقد عمل النبي بمشورة أصحابه أيضا في بناء عريش له وهو خيمة من خشب تدار منها المعركة أشبه بغرفة العمليات ، وقد بنى العريش بمشورة سعد بن معاذ زعيم الانتصار الذي قال عند بدء القتال :

يا نبي الله لا تبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أمزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا . وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد حبا لك منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمنك الله بهم يناصحنك ، ويجاهدون معك . وأثنى محمد صلى الله عليه وسلم على سعد ودعا له بخير . وبنى العريش للنبي حتى إذا لم يكن النصر في جانيه لم يقع في يد أعدائه بل يسرع إلى المدينة ليجد الانتصار والاتباع مستعدين للجهاد والدفاع عن الحق وعن الدين .

وهنا تلمح وفاء المسلمين وعظيم محبتهم للنبي وصدق إيمانهم برسالاته ، ففي أشد حالات الحرج فكروا في حماية النبي وتوقيته أن يظفر به عدوه ومهدوا له سبيل الاتصال بمن خلفهم من أهل المدينة .

وقد استجاب الرسول القائد لتفكيرهم السليم عملا بمبدأ الشورى ، الذي أقره الإسلام ودعا إليه .

الشورى في تخير مكان المعركة :

تابع الرسول صلى الله عليه وسلم مسيرته وسار مع المسلمين إلى ماء بدر فلما جاءوا أدنى ماء منها نزل محمد به ، وكان الحباب بن المنذر بن الجوح عليها بالمكان فلما رأى حيث نزل النبي قال : يا رسول الله أرايت هذا المنزل أمزلا أنزلك الله فليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي

والحرب والمكيدة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ، بل هو الرأى والحرب والمكيدة . فقال يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فننزل ثم نغور ما وراءه من القلب (٤) ثم نبني عليه حوضا فنبلاؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

ولم يلبث النبي الكريم حين رأى صواب ما أشار به الحباب أن قام ومن معه واتباع رأى صاحبه ، فملنا إلى قومه أنه بشر مثلهم وأن الرأى شورى وأنه لا يقطع برأى دونهم ، وأنه في حاجة إلى حسن مشورة صاحب المشورة الحسنة منهم .

من أسباب النصر في بدر :

كان جيش المشركين ثلاثة أمثال جيش المسلمين وكان أكثر عدة وعددا ، ولكن شيئا آخر عظميا كان متوفرا لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فاستعاضوا به عما كان ينقصهم من العدد والمدة ، أما هذا الشيء العظيم فهو أمور ثلاثة :

الأول : النظام ، فان التربية المحمدية سواء إكاثت في صورة العبادة أم تلقين عقيدة التوحيد ، أم أرجاع الأمر إلى الله مع حسن العمل أم الإيمان بالمساواة في عمل الدنيا والآخرة ، أم إثارة الشهادة في سبيل العقيدة على الحياة وما يتعلق بها من أحوال الأهل والعشيرة وكذلك انطباع نفوسهم بطاعة الرسول وأولى الأمر منهم .

— أن هذه التربية أحدثت فيهم قوة جديدة لم يكن العرب يعرفونها من قبل تلك هي قوة النظام التي رجحت بها كتبية المؤمنين على جيش المشركين . والثاني : القوة المعنوية التي ملأ بها الإسلام نفوسهم ، فانهم دون مشركي العرب كانوا يؤمنون بالجنة فهم لذلك لا يرون في الموت فناء مطلقا ، بل يرون أن وراءه — مع إدراك فضل الشهادة — حياة أبقي وأسعد من هذه الحياة . يرون أن روح الشهيد لا تذهب إلى فناء بل تأوي إلى قتاديل من نور وتسبح حول العرش ، وتحيا في حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة وتشرب من رحيقها المختوم مصداقا لقول الحق سبحانه « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » ومن نماذج الشهداء ما روى أن شابا في السادسة عشرة من عمره كان في كتبية المؤمنين فلما سمع الرسول يحرض المؤمنين على القتال ويعددهم الجنة قال انن ليس بنبي وبين الجنة إلا هذه الثمرات ؟ وهي ثمرات كان يأكلها ، فتذفها ، وحمل بسيفه على المشركين فلم يزل يقاتل مستتبلا حتى لقي الموت الذي يريده وقد استشهد حارثة في معركة بدر وسالت أم حارثة رسول الله قائلة يا رسول الله حارثة ابني في الجنة أم في النار فان كان في الجنة صبرت وإن كان في النار بكيت ما أسعفتي البكاء ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله يا أم حارثة أنها جنان وليست جنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى منها .

والثالث — من أسباب النصر — وحدة القيادة ، فقد كان المسلمون

ممتازين بها ، يتفانون في الاخلاص والطاعة لتائدهم ، وذلك من الامور التي ضاعفت قواهم .

ولنذكر لذلك ما حدث في اثناء المعركة ، اذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقوم الصف رجلا خارجا عن رفاته في الصف ، فوكزه ، فقال الرجل : أوجعتني يا رسول الله ، فأنتدني منك ، فكتشف النبي صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال : اقتص لنفسك ، فقبل الرجل بطن النبي ، فقال النبي : ولم أذن ؟ قال يا رسول الله حضر من الأمر ما ترى فأردت أن يكون آخر عهدي بالدنيا إن يمس جلدي جلديك .

تلك أهم الأسباب التي انتصر بها المؤمنون ، ولا تظنوا أن قريشا كانت خائفة فاقدة للنظام والقوة المعنوية ، فقد كان لديها اكمل نظام يعرفه العرب ، ولها من عزتها ، ومن حب المحافظة على سيطرتها العسكرية ، ومن الرغبة في الانتقام ، ومن العزم على الاحتفاظ بحرية التجارة وسلامة الطرق الموصلة لهذه التجارة ، ما جعلها تقاتل مستبسلة ، حتى أن رجلا منها أقسم أن يرد حوضا وسط جيش المسلمين ، فلما قطعت رجله قبل أن يصل اليه دفع نفسه الى الحوض ، وهدم جزءا منه برجله الأخرى ، ولما جرح أبو جهل مر به رجل من المسلمين وهو في حشجة الموت ، فوضع قدمه على عنقه ، وقال أرايت كيف أخزأك الله ؟ قال ويم أخزاني أعار أن أقتل ؟

من هذا تدركون عظم مهمة الجيش الاسلامي في سبيل انتزاع السيطرة العسكرية التي كانت لقريش .

وترون أن نصر المسلمين في بدر يمكن أن يسجل لهم بحروف من نور لأنه كان أعجوبة الأعاجيب وحدثا هابيا من أحداث الحرب ودليلا عمليا على أن للنصر أسبابا معنوية لا تقل أهمية عن الأسباب المادية وتظل بدر في جبين التاريخ غرة ناصعة ، وحدثا خالدا :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .
ولئن ذهبت بدر فانها لم تكن حادثا فريدا بل توالى بعدها الغزوات في أحد والخندق والحديبية وغزوة تبوك وفتح مكة وغزوة حنين والطائف .
وتوالى زحف المسلمين في القادسية ونهاوند واليرموك ومصر .
وظلت روح الايمان تدفع المسلمين الى النصر في تاريخهم الجيد في معركة عبورية وفي معركة حطين وفي كفاح الجزائر وفي معركة بورسعيد .
وعند الله بدور أخرى وسيظل نصره يخفق على المؤمنين ما داموا أهلا لنصرته عاملين بشرعه ملتزمين بأمره مجتنبين لنواهييه وصدق الله العظيم « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » .

(١) أن يجعلها لكم من الاتفال والفنائم فيغفم المسلمون هذه التجارة تمويضا عن الضائير الفادحة التي لعتهم بالهجرة فرارا دينهم بعد أن تركوا اوطانهم ودورهم واموالهم وتجارتهم في مكة .

(٢) اللطيفة : المال والتجارة ..

(٣) هي قرية بين مكة والمدينة ، وهي الى المدينة اقرب . وكانت بها سوق تمتد كل سنة ثمانية ايام ، وقد شاهدتها عند أداء فريضة الحج فرايت قرية بسيطة بها استراحة للمسافرين . فقلت هنا كانت الاجاد والشهداء والنصر المؤزم من السماء .

(٤) القلب جمع قلب ، وهو البئر ، ينكر ويؤنث . وتقويرها : كبسها بالانسراب حتى ينضب ماؤها .

اليهود

وتأمرهم على النبي صلى الله عليه وسلم

- ٢ -

للدكتور محمود محمد زيادة

خبر :

وكان من أهم ما قاموا به تحريض قريش على الرسول وتحالفهم معهم ثم ذهابهم الى غطفان ، وتحالفهم معهم أيضا ، وجمع الأحزاب . ثم اقناعهم ليهود بنى قريظة بنقض عهدهم مع الرسول . وبذلك أحكموا الحلقات وضيقوا الحصار على المسلمين ، وكان زحفا خطيرا . كان من نتائجه أن زلزل المسلمون زلزالا شديدا ، وبلغت الطلوب الحناجر ، ولكن الله نصر المسلمين نصرا رائعا وتم القضاء على بنى قريظة كما سبق منا القول بذلك .

وكان من المنتظر أن يقف نشاط اليهود ، وأن يكفوا عن التآمر ، وأن يتعظوا بما حدث للقرظيين ، ولكنهم ما زالوا في غيهم سادرين ، واستمروا في نشاطهم وتحريضهم قبائل غطفان وغيرها على غزو المدينة

تقع خيبر في شمال المدينة . على بعد مائة ميل منها ، وهي واحة كبيرة خصبة بها نخل كثير ومزارع واسعة وحصون مرتفعة مقامة بين النخيل والحقول على مرتفعات من الأرض تزيدها حصانة ومناعة .

وكان اليهود الذين أجلاهم النبي عن المدينة نزل بعضهم في خيبر والقرى المتصلة بها ، والداخله في نفوذها مثل وادي القسرى ، وفدك وتيماء . بينما تابع بعضهم الآخر سيرهم الى الشام ، وكان ممن ذهب الى خيبر زعماء بنى النضير .

ومن هذا الموقع بدعوا يدبرون المكائد ، وطريقة الانتقام لأنفسهم وليهوديتهم . ظانين أن يد الرسول لن تصل اليهم .

فأخضت تقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالتماعد أو الدخول في الإسلام . بل أخذ يقد وافدون على النبي من وراء مكة ويدخلون الإسلام مثل الأشاعرة اليمنيين الذين جاءوا ، وعلى رأسهم « أبو موسى » وشهدوا حرب خيبر .

حينئذ عزل اليهود ، وصاروا وحدهم ، فكانت الفرصة مهيأة لغزوهم فصار الرسول إليهم في شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة بالف وستائة من المسلمين فيهم مائتان من الفرسان ، وإن هذا الجوع في مسيره إلى تطهير أرض الجزيرة من عنصر اليهود أو تقليم أظفارهم . كانت علامات البشرى بادية على وجوههم وصدرت أوامر رسول الله إلى « عامر بن الأكوع » أن يتولى حذاء الغافلة ليشتد بهم القوم ويجدد نشاط الإبل . فصار عامر يحدو بهذه الآيات :

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكيناً علينا

وثبت الأقدام أن لا قيناً
إننا إذا صيح بنا أتينا

وبالصياح عولوا علينا
وهكذا قطع المسلمون الطريق إلى خيبر ، فلما تراءت لهم حصونها المنيعة الكثيرة أمر أصحابه بالوقوف . ثم رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين ، وما أضللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين . نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر ما فيها . أقدموا باسم الله .

ولا غرابة أن يأمر الرسول أصحابه بالوقوف أمام خيبر ، ويدعو ربه الذي لا ملجأ له سواه ، فذلك عادته صلى الله عليه وسلم . لا سيما أمام حصول خيبر فالاستيلاء على حصونها

ومن هؤلاء المحرضين « سلام بن أبي الحقيق » و « أبو رافع بن الحقيق » وكلاهما من زعماء بني النضير فقد جعل الأول لطفان جعلاً لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل الثاني لبنى سعد بن بكر تمراً من خير ، وعلم النبي بذلك ، فبعث بعضاً من الأنصار بقيادة « عبد الله بن عتيك » الذي كان يعرف اللغة العبرية ، فاستطاعوا بذلك أن يدخلوا عليه ويقتلوه ، وقد تصايح اليهود ، وخرجوا إليهم في ثلاثة آلاف ولكنهم أفلتوا منهم ، ووصلوا المدينة سالمين ، فأمر اليهود عليهم في خيبر « أسير بن رزام » فصار يجمع الأحزاب لحرب المسلمين ، فأرسل الرسول إليه « عبد الله بن رواحة » في جماعة فقتلوه هو ومن معه ، وكانوا ثلاثين شخصاً .

وهكذا صار الرسول يرسل سراياه للتنكيل بالمتمردين ، وفي عزمه أن يظهر شمال المدينة من هذا الجرس كما ظهر نفس المدينة ، ولكن يظهر أنه آخر ذلك لأنه كان لا يزال في حالة حرب مع مكة . فلما عقد مع قريش صلح الحديبية ، وأمن ظهره من الجنوب . زاد حق اليهود ولجأوا إلى سلاحهم الدنيء ، وهو سلاح الشائعات لبلة الأفكار وإشاعة الأقاويل ضد الإسلام ، والمسلمين ، فما أن تنأى إلى علمهم أن الرسول عقد صلحاً مع قريش — صلح الحديبية — حتى أثاروا شائعة وهي أن النبي والمسلمين كانوا ذاهبين لفتح مكة ، فلما لم يقدروا لضعفهم وقتلهم عقدوا صلحاً ، ويظهر أن بعض القبائل العربية في نجد صدقت هذه الشائعة فبدأوا يستعدون للتحالف مع اليهود ، وكان علم ذلك يصل إلى الرسول فيباغتهم ، ويمزقهم شر ممزق ، فتغير الموقف ، لأن القبائل الكثيرة . التي كانت تقف موقف المتريص . تبدل موقفها ،

النطة الذى قتل فيه إخوة ثلاثة من اليهود هم مرحب، والحارث، ويسار، ثم جاء دور الوطيح والسلام، وكان كلما ظهر زعيم معتمد بنفسه دحر أمام قوات المسلمين، وثباتهم، وقد أبدى على بن أبى طالب فى هذه الغزوة شجاعة نادرة ولعبت الفدائية الإسلامية دورها فى نفوس وقلوب المقاتلين المسلمين وقدم المسلمون فيها نماذج للبذل والتضحية، كسى يتخلصوا من كل الآلام وضيقهم من مؤامرات اليهود ضدهم، ونجحوا فى ذلك نجاحا رائعا بعد أن استمر القتل سبعة أيام، وبلغ عدد الشهداء من الجيش الإسلامى خمسة عشر شهيدا، وقد هلك من اليهود نحو ثلاث وتسعين.

وبعد أن قتل هذا العدد الكبير منهم، وسقطت حصونهم، استسلموا وطلبوا الصلح فدارت المفاوضات بين الفريقين. انتهت بالشروط التى منها:

١ - أن يحقن الرسول دماءهم، ويترك أسرارهم.

٢ - ضرورة الجلاء اليهودى عن خير بكل أراضيها، وأن لا يأخذ أحد منهم أكثر من ثوب واحد.

ولكنهم توسلوا الى رسول الله، أن يسمح لهم بالبقاء فى بلدهم وأن يقوموا بزراعة الأرض على أن يكون لهم نصف محصولها، وللمسلمين النصف الآخر، وقالوا له: نحن أعلم بها منكم وأمر لها: فصالحهم الرسول على المناصفة وشرط عليهم أنه إذا شاء أخرجهم.

ولعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك منهم لدوافع منها:

أولا: أنه يستقطب خير. - أم بن يهود لن تقوم لهم قائمة بعد ذلك.

ثانيا: لأن الأرض الزراعية التى آلت اليهم من خير بحداثتها

ليس بالأمر الهين، فهى تقع فى منطقة صخرية وتريتها بركانية. خصبة بالنخيل والحبوب الغذائية، وكان أهلها أعرف بشئون الحروب وأقوى طوائف اليهود بأسا وأكثرها سلاحا، وعندهم آلات تخريب ودفاع عن الحصون. لكنهم ككل اليهود يغلب عليهم الجبن، ولا يحاربون الا أمام حصونهم لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر.

وكان الرسول يعرف فيهم هذه الطبيعة، فاعد للامر عدته، فكان وصول المسلمين الى خير ليلا، فلما كان الصباح فوجيء يهودها برسول الله يقول: الله أكبر خربت خير.

إننا اذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين.

وردد أصحابه التكبير، فدوى صوته فى الفضاء وتردد صده، فملا الجو فرعا ورعا.

استيقظ أهل خير على هذا الصوت فزعين، فأسقط فى أيديهم واعتصموا بحصونهم الكثيرة التى منها ناعم، والصعب، والزبير، والنطاة، والقمص، والوطيح، والسلام، وظنوا أنها مانعتهم من الله، فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف فى قلوبهم الرعب.

ولما كان الرسول يعرف مقدار حب اليهود للمال. هدهم بإتلاف ماله، فأمر أصحابه بقطع نخيلهم عسى أن يجهلهم ذلك على التسليم، فلما لم يسلموا أمر بالكف عن قطع النخيل، وبدأ فى مهاجمة الحصون ومحاصرتها حصنا حصنا. فالطرف اليهودى فى كثرة من عدد وعدة وعتاد، وبناءة موقف، والمسلمون فى استبسال وإيمان ويقين بالسيطرة على الموقف.

اليهود يخرجون للقتال فى النهار ويلجأون للحصن الذى عليه القتال بالليل. فيسقط حصن ناعم، ومن بعده حصن القمص. ثم حصن الصعب، ثم حصن الزبير. ثم حصن

وزروعها ونخلها كانت تحتاج الى الأيدي العاملة ، ولا يوجد في المدينة من الأنصار من يستطيع القيام بحاجة أرض خيبر الى جوار بساتينهم في المدينة .

ثالثا : كان النبي في أشد الحاجة الى جيوشه التي تعمل معه في ميدان الحرب ، فمن الحكمة أن يترك هؤلاء اليهود للعمل في الزراعة تحت بصر المسلمين ورعايتهم . بعد تعليم أطفالهم بالقضاء على زعمائهم في ميدان الحرب وقتل كل خطر بعد انتهاء الحرب مثل كفسانة بن الربيع ابن أبي الحقيق الذي كان من رؤوس المحرضين على غزوة الأحزاب ، وكان قتله قصاصا لقتله أخا لمحمد بن مسلمة ، وكذلك قتل أخوه الربيع الذي شاركه في التحريض .

وبعد أن أمن يهود خيبر وقسم غنائمها ترك « عبد الله بن رواحة » ليتولى خرص ثمارها وتقسيمها بالعدل .

وبهذه النهاية . قضى على نفوذ يهود خيبر ، وأطاعهم وآمالهم في السيطرة والتوسع (**هنا . وادي القرى . تيماء**) سقطت خيبر التي في قلوب يهود هناك الفزع والرعب ، فلما أرسل اليهم النبي يطلب منهم أن يسلموا أو يسلموا أعلنوا رغبتهم في الصلح على نصف ما بأيديهم من غير قتال ، فكانت خيبر للمسلمين الذين قاتلوا عليها ، وكانت هناك نصيب رسول الله خالصة له لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب .

وفي عودة رسول الله الى المدينة بعد هذا النصر على اليهود في خيبر وهناك . مر بوادي القرى فوجد أهلها من اليهود قد تجهزوا لقتاله فنزلهم حتى أذعنوا للصلح على ما اصطلحت عليه خيبر ، وأقام عليهم عاملا هو

« عمرو بن سعيد بن العاص » . ولما بلغ أهل تيماء فتح وادي القرى ، صالحوا النبي على الجزية وأقاموا ببلدهم وأرضهم في أيديهم . ويسقط تيماء دانت كل العناصر اليهودية في شبه الجزيرة العربية لسلطان الرسول عليه الصلاة والسلام ، وانتهى كل ما كان لهم من سلطان فيها وأصبح رسول الله في مأمن من ناحية الشمال الى الشام . كما أصبح في مأمن من الجنوب . بعد صلح الحديبية .

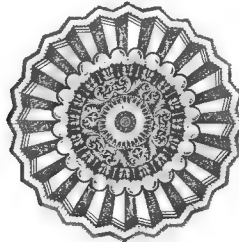
وبهذا العمل الجليل رفض المسلمون الوجود اليهودي القائم على السيطرة والاستغلال ، والتوسع بأسلوب التآمر والفساد والخديعة والوشاية والخلق اليهودي الدنيء الذي لا يبالي بالقيم الخلقية ، ولا يعترف بالقوانين ولا التقاليد ، ولا العهود والمواثيق . فمع أن الرسول منحهم فرصة الحياة في الواحات الشمالية الا أن طبعهم الدنيء ، وحقدهم الدفين دفعهم على الرغم من تشتتهم أن يتربصوا بالمسلمين الدوائر للأخذ بالثأر منهم فصاروا يعملون في الخفاء . غريزة الجبناء الأثقال ، فلم يقدروا على شيء ، فلما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم ظنوا أن قوة المسلمين ستتهافت فكانت لهم مواقف عدائية ، فساعدوا « طليحة بن خويلد » الأسدي المنفيء وساعدوا « الأسود العنسي » وكانت هذه المساعدات في الخفاء ، ولكن الله قضي للإسلام رجل الساعة وهو خليفة رسول الله الأول « أبو بكر الصديق » ففوت على اليهود أغراضهم وخيب ظنهم .

ثم جاء بعده الخليفة الثاني « عمر ابن الخطاب » فتابع رسالة أبي بكر في الفتوح وتأمين الدعوة ،

واستقرار الدولة على اساس قوى
من المعدل والمساواة والحرية ،
ومبادئ الاسلام القوية الصادقة .

ورأى أن الجزيرة العربية ، وهى
منطلق الدعوة ، ومركز الإشعاع يجب
أن تكون خالية من كل عوامل الفتنة ،
وقد عرف أن اليهود هم دعائهم ،
والباعثون لها فى كل مكان فطهرها
منهم ، وكان أكثرهم فى خيبر وما
جاورها . لأنه قد بلغه أن النبى قال
عند موته : لا يجتمعن بجزيرة العرب
دينان : فلما ثبت عنده هذا الخبر
أرسل إليهم . أن الله قد أذن فى
جلانكم لأنه قد بلغنى أن النبى قال :
لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ! فمن
كان عنده عهد من رسول الله من
اليهود فليأتنى به أنفذه له ، ومن لم
يكن عنده عهد فليتجهز لجلاله ، فأجلى
من لم يكن عنده عهد . خصوصاً أنهم
قد بدعوا يتحرشون بالمسلمين عندما
كانوا يذهبون الى خيبر لتفقد أملاكهم
التي غنوها منهم . كما فعلوا مع
عبد الله بن عمر فأتهم أصابوا يديسه

بسوء . كما أنه استند على شرط فى
عهد رسول الله إليهم ، وهو . أن له
أخراجهم عندما يشاء .
وبهذا طهرت الجزيرة العربية من
دنسهم ، ولم يجدوا لهم مستقراً الا
خارج حدودها فى أطراف بلاد الشام
ولكن لم تنفقه مؤامراتهم ضد الاسلام
والمسلمين ، فما زالوا يكيدون للاسلام
والمسلمين بصور شتى . تحتاج الى
كتب كثيرة لو تتبعنا تاريخ هؤلاء
الاتجاس ، وآخرها الحركة
الصهيونية التي استطاعت بمساعدة
الاستعمار أن تجعل لها كياناً فى
فلسطين ، وأن شئت فقل أن
الاستعمار وضع اليهود شوكة فى
جنب العرب ، وجعلهم جسراً له ،
ولكن قد قربت نهاية الاستعمار
ورببته اسرائيل فقد صمم الشعب
العربى على أن يستعيد حقوقه ويطهر
أرضه ومقدساته ، ويقضى على
الدخلاء قضاء نهائياً ، وحينئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله ، وإنه لقريب
(ولينصرن الله من نصره . أن الله
لقوى عزيز) .



أثر مرضى في

للاستاذ : علي القاسبي

امتنا العربية في طريق نهضتها الكبرى ، وهي لذلك تعمل على تعبئة القوى لتسير في طريقها بكل قوة وكل أمة ناهضة تمتد الى تعبئة الطاقات المختلفة فيها لاستثمار منابع القوى الكامنة في البلاد اذ عليها اساس نهوضها وبناء مجدها وترقية مستوى المعيشة فيها ، كما أنها تستطيع بذلك أن تنشئ مصانعها ومعاملها وأن تبرز الى الميدان الخارجى في كل ناحية من نواحيها فتأخذ مكانتها اللائقة بها بين الأمم من الناحية الادبية ومن الناحية المادية على السواء .. والطاقة الحقيقية الاساسية هي الطاقة الانسانية ، وهي القدرة الانسانية على العمل والانتاج والتعاون بقدر ما لديهم من جهد على الاشتراك الإيجابى في بلوغ الأهداف التي ترمى اليها البلاد . وقد حرص المستعمر دائما على تبديد هذه الطاقات الهائلة بكل ما أوتى من قوة فهو آنا ينشر الفساد والاحتلال وآنا آخر ينشر الكيفيات ومرة ثالثة يستبعد ويستعبد ويسجن ويمتدب .. وهكذا يعمل جاهدا على تبديد هذه الطاقات الضخمة حتى يستطيع أن يسير في الطريق الذي يريد .

التعبئة العامة :

والامة التي تريد أن تنهض وأن تيسير الى الامام بخطوات واسعة تعتمد الى التعبئة العامة ووسيلتها في ذلك :

النخب، العامة للأمر

- ١ — أن تقوى صلة الفرد بالله بحيث يراقبه في كل خطوة .
- ٢ — وأن تبصره بحقوقه وواجباته .
- ٣ — وأن تفرس المسؤولية الاجتماعية في نفسه .
- ٤ — أن تشجع الكفايات وتكتلها وتبث روح التنافس المنتج بينها .
- ٥ — أن تراعى مبدأ تكافؤ الفرص .
- ٦ — أن تهتم بالتوجيه المهني والتوجيه التعليمي .
- ٧ — أن تحيط الطاقة الانسانية بالحناءة وتصرفها في مجالاتها المفيدة حتى لا تبدد في مسالك عقيمة أو غير مشروعة .

اصناف الناس :

الناس كما نشاهد في حياتنا العامة أصناف شتى منهم من لا تموزهم القدرة على العمل والإنتاج ولكنهم لا يرغبون في ذلك ، ومنهم من يرغب في العمل والإنتاج ولكنهم سلبيون لا ينفذون ما يرغبون فيه ، ومنهم من يرغب في التنفيذ ولكنهم لا يستطيعون التعاون مع غيرهم ، ومنهم من يسرف في تبديد ما لديهم من طاقة فيما لا يعود عليهم أو على غيرهم بالنفع ، ومنهم من لا تموزهم القدرة على العمل والإنتاج وهم يستغلون هذه الناحية بقدرة وكفاءة ولكنهم قليلون ، هل هذا طبيعي .. ؟

نعم وهذا طبيعي ، ذلك لأن النفس ميدان تتصارع فيه الميول المختلفة والدوافع المتنافرة .. وإذا لم تستطع الأمة أن توجه هذه النفس وإن تحولها إلى الإنتاج فإنها تضر كثيرا .. ومن هنا فإننا نجد علماء النفس يوصون بأنه ينبغي أن تأتي تعبئة الأمة من داخل النفس وذلك بمعرفة المذاهب التي تحرك الناس وتحفزهم إلى بذل الجهود وتسير بهم في الطريق السليم الذي يوصلهم إلى الإنتاج والتجّاح وإلى المتعة بهذا التجّاح وأيضا بمعرفة الموانع التي تعطل الناس وتصدّهم عن البذل والتعاون فتعمل على إزالة هذه الموانع العائقة وتجعل الطريق أمامهم سهلا ميسورا .

معنى التعبئة :

التعبئة تنظيم نفسي داخلي يوفق بين الدوافع والنزعات المختلفة يقابله تنظيم اجتماعي خارجي يوفق بين الجهود المختلفة مع تحصيل الناس والحيلولة دون أن تضع طاقاتهم هباء منثورا .
وفي كل أمة طاقات مدخرة ويمكن استغلالها على أكمل الوجوه وأفضلها إذا راعينا ما يأتي :

صون هذه الطاقة والمحافظة عليها حتى لا تضع :

ولكن ما الأشياء التي تبديد هذه الطاقة .. ؟
الواقع أن المعامل الرئيسي الذي يقوم بتبديد هذه الطاقة هو الصراعات التي تقوم في داخل نفس الإنسان بين حقوقه وواجباته ، بين غرائزه ومبادئه ، بين ما تشتهي نفسه وما يرفضه المجتمع الذي يعيش فيه .. هذه الصراعات هي بمثابة حروب صغيرة أهلية تستنفذ طاقات الفرد ولا تترك له ما يستطيع به أن يؤدي واجبه نحو نفسه ونحو أمته ، وهذه المشكلات هي في حقيقة الأمر صدى لما يقوم في المجتمع الخارجي لأن النفس مرآة لما يدور في المجتمع .. ولكل مجتمع مشكلاته الخاصة ، وهذه المشكلات تشد في مراحل الانتقال حيث يوجد الصراع بين القديم والجديد .. بشكل يختلف في عنفه من مجتمع إلى آخر .. هذا إلى أن المدنية الحاضرة التي نعيش فيها قد زادت الصراع بين الناس من أجل لقمة العيش ، ثم أن الفرد في ظل هذه المدنية قد زادت مطالبه زيادة كبيرة ، وهذه الزيادة تفوق طاقة المجتمع على إرضائها ، ولا تجد لها رمسيّدا روحيا يمكن أن يحدث التوازن في النفس أو يبعث الرضا في القلب

ومن هنا زاد القلق فى النفوس وظهر بين الناس الانطواء والعدوان . وكل هذا له اثر عميق فى ميدان الانتاج بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع كما أن له آثارا خطيرة فى صحة الناس الخلقية حيث ينعدم التعاون بين الناس ويقل الانتاج وتكثر المشكلات ولهذا يحاول كثير من الناس أن يهربوا من الواقع بالمخدرات أو غيرها ولهذا تكثر المشكلات الاجتماعية كالقتل والطلاق والانانية والخداع . والناحية الثانية التى يمكن بها استغلال طاقة الأمة المخدرة هى استثارة هذه الطاقة وانهاؤها وتنظيمها بجميع نواحيها الجسمية والفكرية والخلقية والاجتماعية ، وسأبين كل ناحية من هذه النواحي ..

الناحية الجسمية :

الجسم الضعيف لا يمكن صاحبه من العمل وقد يكون سببا مباشرا فى البعد به عن الكفاح المطلوب فيهرب به من العمل اخفاء لضعفه الجسمى ، والحيوية الجسمية من طبيعتها أن تبعث فى صاحبها التفاؤل والتحمس للعمل كما أنها تعين صاحبها على احتمال المشاق ، وهى بعد هذا كله سبيل الى الرجولة الذهنية واليقظة الفكرية ولا زلنا نسمع الحكمة القائلة (العقل السليم فى الجسم السليم) .

الناحية الفكرية :

الانسان السوى يفكر ويحكم على الأمور بنفسه .. حقيقة أنه يستمع الى آراء غيره ويستشير من يثق فيهم ولكنه هو الذى يحصن الآراء ويرجح الراى الذى تسائده الحجة .

الناحية الخلقية :

من طبيعة كل واحد أن يحب نفسه ، ولكن الانانية الفردية يجب أن تحد ، والتواكل أيضا يجب أن يحد ، وينبغى أن توجه الجهود لصالح الجماعة ، والتربية السليمة تعنى بأن تكتسب الفضائل الانسانية عن طريق ممارستها بالنشاط الذاتى والخبرة الشخصية ، ويستدعى هذا الحرية والتوجيه .

الناحية الاجتماعية :

الانسان الصالح هو الذى يشعر بالروابط التى تربطه بغيره من الناس كما يشعر بالواجب الملقى على عاتقه نحو نفسه ونحو بلد .. ومهنته .. والناحية الاجتماعية فى حالتها القوية تجعل صاحبها يسيطر عليه هذا الشعور فيعمل فى جد ونشاط وحيوية لصالح الجماعة ناسيا مصلحته الخاصة بعيدا عن المسائل الفردية .. ويعمل فى فهم وتعاون واحتمال ..

يقول رجال التربية : وينبغى أن نعى بالتربية الوقائية والتربية الانشائية .. وينبغى أن تشمل التربية تربية الآباء والمدرسين والمفكرين والمشرعين ، كما ينبغى أن نعى بتربية الطفل فى مرحلة طفولته المبكرة والمتأخرة وبالشباب والرجال والنقابات التى تتيح للرجل أن يعبر عن نفسه بالقول وبالفعل . ولكن كيف نربى ومن الذى يربى ، وعلى أى أساس يربى .. ؟

ويأتى رمضان المعظم فى هذه اللحظات الحاسمة من تاريخنا ليجبنا على هذه الاسئلة التى تشغل بالنا :

الصوم فى حقيقته عملية تعبئة عامة للامة الاسلامية لتجديد ابنائها وتدريبهم على احتمال الجهد والمشقة حتى اذا ما احتيج اليهم فى يوم من الأيام بسبب الحرب الباردة أو الساخنة كانوا مستعدين استعدادا نفسيا واستعدادا جسميا .. ثم ان الصوم تدريب لهم على الصراع الاكبر صراع الحياة الدائم الذى يقابله كل نسان فى هذه الحياة وهذه التعبئة ليست تعبئة روحية فقط ولا جسمية فقط هذه الحياة ، وهذه التعبئة تشمل الروح والجسم والعقل ..

ولا عقلية ولكنها تعبئة تشمل الروح والجسم والعقل .. وقد اختار الاسلام التدريب بطرق كثيرة من أهمها الصوم وهو تدريب على كل شئ فى الحياة لفترة من الوقت حتى يتعود على تحمل الامتناع الاجبارى عن شهواته وضروراته حين تحكم بذلك ظروف الحياة .

ان الطفل المدلل الذى تجاب رغباته كلها فى الحياة ينشأ شابا رخوا لينا لا يستطيع أن يقف على قدميه بل ان الرياح لتنتاذفه من كل جانب . ثم هو فى العادة الذى يصاب بالامراض وبالعقد النفسية وببذمات الحياة .

اننا ندرب فى جيشنا العربى فرقا خاصة .. ذلك التدريب الذى يحدث آثاره القومية فى كل معركة نخوضها ، ولم يكن من المصادفة أن يفرض صوم رمضان فى العام الذى فرض فيه القتال لرد العدوان ونشر الاسلام .

ان الجندى الذى يؤخذ الى ميدان المعركة بدون اعداد نفسى

وجسمى وعقلى لهو جندى حكم عليه بالفناء العاجل .. وإن الشاب الذى يوضع لمقابلة صعوبات الحياة بدون اعداد لهو شاب فاشل فى ميدان الحياة . ومن هنا فرض الصوم كما فرض غيره من العبادات التى تهدف الى هذه الناحية لفائدة الفرد وفائدة الأمة كلها ..

ورمضان بما له من قوة فى التربية يؤثر فى الانسان من جميع النواحي الروحية والجسمية والفكرية والخلقية والاجتماعية .

الناحية الروحية :

يهدف الاسلام فى كل خطوة من خطواته الى ايجاد الصلة القوية بين الله وعباده الصلة الدائمة التى تدفع القلب الى الرجوع فى كل لحظة الى الله تعالى .. والصوم — كغيره من العبادات — يعطى المسلم شحنة قوية روحية .. شحنة تدفعه الى العمل .. وما دام المسلم يهدف فى صلته الى الله فان فى ذلك الخير للناس جميعا لأن الله لا يقبل الا طيبا ، ولأن الله سبحانه وتعالى يطلب العدالة المطلقة بين عباده ويحب الخير للناس جميعا وعنده يتقرب بهذا كله اليه .. وصيام رمضان يعطى المسلم شحنة قوية فى الصلة بينه وبين الله تعالى يقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فالهدف هو التقوى . تقوى الله عز وجل . والتقوى هى مراقبة الله فى كل الأمور . هى السير على النهج الذى اراده الله سبحانه وتعالى فلا غش ولا كذب ولا خداع بل محبة وتعاون وبناء . ويوضح الرسول الكريم بعض الامراض التى تنخر عظام الأمة فيقول « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ومعنى هذا أن المقصود بالصيام أسمى من أن يكون تركا للطعام والشراب .. ويؤكد هذا الحديث الشريف « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والمعطش » ومعنى هذا أن الصائم الذى لا يصوم كما ينبغي ليس له ثواب الصوم ويؤكد هذا المعنى الحديث الشريف مرة ثالثة بأسلوب القصر فيقول « ليس الصيام من الأكل والشرب إنما الصيام من اللغو والرفث » . ويتدرج النبي الكريم فى هذه الناحية فيقول « خمس يفتقرن الصائم : الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة » .. ولما كان الصوم عبادة لا رياء فيها فان الله سبحانه وتعالى يجزى الصائم بلا حساب يقول الحديث القدسى « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به » .

الناحية الجسمية :

والصوم أثر كبير فى الصحة الجسمية فانه ينفى الاخلاط الضارة التى تراكمت على مر الاعوام ، ويشفى امراض الامتلاء ، فالمعدة بيت الداء ، والجوع لا يعرض الانسان للمرض ، ولكن الامتلاء المستمر يعرضه للأمراض المختلفة ، ولذلك فان الأطباء كثيراً ما يصفون الصوم للمرضى حتى يكون له الأثر الطيب فى صحتهم .

الناحية الفكرية :

والصوم يجلو صدأ الذهن فيكون الانسان أقدر على الفهم والادراك ، ولذلك فان العلماء القدامى كانوا يستفيدون من رمضان فى تأليفهم وكتابتهم . وكان انتاجهم فى هذا الشهر مضاعفا ولئن كنا على غير ذلك فان السبب هو أننا لا نسير فى رمضان على النهج الإسلامى الذى يفيد فى ناحية من النواحي .. بل أننا نتبع طريقة تزهق أجسامنا ونفوسنا وماليتنا .. طريقة هى الى المظهر اقرب وما احوجنا الى أن نسير على النظام الذى كان يسير عليه الرسول الكريم فنستفيد من رمضان الفائدة الكاملة .

الناحية الخلقية :

ورمضان يعطى المسلم فرصة ذهبية ليحرر نفسه من سلطان العادة سواء أكانت فى الطعام أو الشراب أو فى سلوك الانسان فى أى وقت من أوقات الليل أو النهار وفى أى مكان .. يحرر نفسه بالمران وبالعزم الصادق ، وبهذا يطمع الانسان نفسه من أهوائها .. ولئن كان الكثير منا لا يستفيدون من رمضان هذه الفائدة فان العيب ليس فى الطبيب ولكن فى المريض الذى لا يطيع امر الطبيب .

ورمضان يعلم الانسان الصبر فان الصوم نصف الصبر والصائم يكبح جماح نفسه حتى لو سابه أحد أو شاتاته فان المطلوب منه أن يقول له انى صائم ، والصائم المحتسب لا يجد فى نفسه اضطرابا ولا انزعاجا بل يكون راضيا محتسبا مطمئنا هادئا .. والذى يغضب فى رمضان لأتفه الأسباب هو الذى لم يفهم معنى الصوم ولم يتأثر به .

وفى رمضان تقوى مراقبة الله تعالى بالصوم وبقراءة القرآن

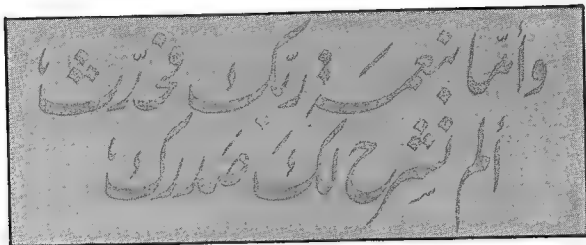
وبصلاة القيام ، والصائم يجد الجزاء القريب في اللغة القرآنية التي تأتي بين آيتي الصوم وهي قوله تعالى « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » فهي لفظة موجهة إلى أعماق النفس إذ يجد الصائم العوض الكامل عن مشقة الصوم والجزاء على الاستجابة فيها لله وهذا الجزاء تصوره الفاظ رقيقة فيها رقة هائلة « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب » أنه الجزاء الاوفى على الاستجابة والتعويض الكامل على طاعة الله . انه الخيط الذي يجذب الأرواح الى الطاعة في يسر وسهولة وطواعية . وبهذا يكون المسلم مسلماً كليلاً فلا أتانية ولا حقد ولا غل بل حب وتعاون وعمل للمصلحة العامة واحساس بالقرب من الله تعالى وهكذا يمكن أن يؤدي صوم رمضان الى استغلال طاقات المسلم كلها الروحية والفكرية والجسمية والخلقية .

وإذا كانت هذه هي فوائد الصوم بالنسبة للفرد ، فان له فوائد أخرى بالنسبة للمجتمع ومن طبيعة الاسلام أن يعنى بالانسان ككل فهو يعنى به من ناحيته الفردية كما يعنى به من ناحيته الاجتماعية عضواً في مجتمع .

فالمسلم يحس بالمساواة التامة بينه وبين جميع اخوانه المسلمين لأنهم يصومون في وقت واحد ويفطرون في وقت واحد الغنى والفقير ، الرجل والمرأة الكل سواسية في الصوم ، وفي هذا كثير من الراحة النفسية بالنسبة للمسلم .

ورمضان يعطى الفرصة الكاملة للتعطف بين الأغنياء والفقراء لان الغنى يحس باحساس الفقير فيعطف عليه . والاسلام حث على هذا التعاطف في كل وقت ولكنه حث عليه في رمضان أكثر ، والتاريخ يحدثنا بأن النبي عليه الصلاة والسلام كان أجود من ريح المسك وكان أجود ما يكون في رمضان .. وجعل الاسلام من تمام الصيام صدقة الفطر .

وهكذا يأتي رمضان ليجمع هذه الطاقات كلها ريوحيها الى الخير .. انه يجعل المسلمين يحسون بأن القوة الالهية تسندهم فتفتح أمامهم الآمال ويثقون في أنفسهم وفي الله الذي يناديهم « ولا تيأسوا من روح الله » . ويؤدون واجبهم وينتصرون على عدوهم ويضربون المثل الانسانية لهذا العالم الحائر الذي يبحث عن منقذ ولن يجده الا في المسلمين الذين يتمسكون بدينهم .



للاستاذ احمد التاجي

لا تنصرف نفسه الى نوازع البشرية .
ثم كرر العملية عليه حين تلقى
الوحي : فخلق قلبه خلقا جديدا ،
ليتحمل الامانة التي عجزت عنها
السماوات والارض والجبال .

فشرح الصدر عملية تشريع
وتشقيق وخلق شيء جديد (٢) .

★ ★ ★ ★

وقد جاء في السيرة اشارات
لحادثة شق الصدر حين كان النبي
صلى الله عليه وسلم طفلا يسترضع
في بئر سعد . قوم حليمة .

نزلت آيات الانشراح عقب آيات
الضحى . فكان شرح الصدر بيانا
للنعمة التي أمر بها الرسول أن يحدث
بها نفسه دائما . لا يحدث بها الناس
ولكن ليذكرها دائما وقرنها بالشكر
لربه .

وبعض العلماء يجعلون من
السورتين سورة واحدة (١) فخطب
بها النبي (صلى الله عليه وسلم)
وفيها عدد الله نعمه على عبده .
وكانت أشهر نعمه عليه أن شرح له
صدره .

ونرى أن في هذا إشارة الى عملية
الخلق التي أجراها في قلبه حتى
يصبح انسانا مهيا للنبوّة من صغره ،

الإنسانى جهاز خلقه الله للإنسان
كمصباح يضئ بقدرة محدودة ،
ليساعد على العيش فى أرضه التى
خلقها له ، ويحيا حياته المحدودة التى
قضاها عليه . ويستند هذا الجهاز
تدرته المحدودة من حواس محدودة
كذلك . فالعين مثلا قد تبصر ميلا
ولا تستطيع أن تبصر ما وراء ذلك .

وإذا حجبها حجاب من جدار أو غيره
فلا تستطيع أن تخترق الحجاب ،
وتبصر شيئا واحدا وراءه . وكذلك
السمع ، والشم ، واللمس . تحس
ولكنها ذوات قدرات محدودة .

والعقل يتلقى اشعارات هذه
الحواس ، ويخترنها ويرتب نتائج
محدودة أيضا عليها . ولا يستطيع
المحدود أن يدرك ما فوق الحدود .
فلا يدرك شيئا من الغيب ، أو ما حجب
عنا من أرض وساء .

وحين يكشف الإنسان بعض
المجاهل المحدودة بعقله وحواسه
يرى قدرة الله أكبر من قدرته . فكلما
ازداد الإنسان علما ومعرفة شعر
بضالة نفسه ، وعظمة ربه ، وخشيته
أكثر من غيره من العباد : « إنما
يخشى الله من عباده العلماء » (٣) .

وعرف أنه الحق ، ولا حق غيره .
« سفيهم آياتنا فى الآفاق وفى
أنفسهم حتى يبين لهم أنه الحق » (٤) .

★ ★ ★ ★

فلقد ظل الناس قرونا حيارى
يتجادلون فى — حادثة شق الصدر ،

وكان هذا الخبر وأمثاله غريبا على
الناس الذين يحكمون عقولهم وحدها
فى نواميس الكون ويقولون : كيف
يشق القلب ثم تخرج علة من داخله
ثم يخط ويعود سليما فى لحظات
ويبقى صاحبه حيا بعد ذلك كله ؟ !
أذ كان منطق العلم يومئذ يقول :
إن القلب هو العضو الذى لا تجرى
فيه عمليات كما تجرى فى سائر
الأعضاء ، والا تعطل وفارق صاحبه
الحياة .

ونسى هؤلاء أن ما لا يستطيع
الناس صنعه ، يصنعه الله بقدرته .
وقد صنع الله الكثير من هذا للأنبياء ،
وذكر قصصهم لنا فى القرآن .

فصنع لموسى وهو غلام صنعا ،
حين أوحى إلى أمه أن تلقي به فى
البحر ، وتكفل الله بسلامته . ولولا
قدرته تعالى لابتلعه اليم فى لحظة !
وجعل الله النار لإبراهيم بردا
وسلافا ، فسلبها خاصة الإحراق ،
ومنحها نقيض طبيعتها !

وجعل الله من بطن الحوت مسكنا
ليونس ، يتسع لصلاته وتسيحه .
ولو شاء لاتخذها طعاما !

فلولا أن قص الله علينا ذلك فى
كتابه الذى لا يأتيه الباطل ، لتنازعت
عقول الناس فى تلك القصص ،
والحقها قوم بالأساطير ، لأنها تفوق
حوادث شق الصدر غرابة !

وهل نستطيع أن نجعل العقل
ميزانا نزن به قدرات الله (سبحانه)
كما نزن به قدرات البشر ؟ إن العقل

وخرست السنة المتشدقين مرة
أخرى ، وبدعوا يعيدون النظر فيما
أنكروه من معجزات الأنبياء . ويفرقون
بين قدرة الإنسان ، و قدرة الخالق
الذى يقول للشئ : كن فيكون .

★ ★ ★ ★

وقد ضرب الله مثلا لقصة العقل
البشرى المحدود بظواهر هذا الكون ،
ولا يدرك ما وراءه ، وقصة العقل
الموهوب بالمعرفة من الله ، المنطلق
عن ظواهر هذا الكون ، الذى لا يتقيد
بقيوده ولا يخضع لأسبابه — حين
قص حديث موسى وصاحبه فى
سورة الكهف . حين اصطحبا وسرا
بالسفينة والغلام والبنيان . وكان
موسى يرمز للعقل البشرى ، وكان
صاحبه قد أوتي من لدن ربه علما .
فهو يمثل القدرة الالهية التى تتخطى
نواميس هذا الكون . ولم يستطع
العقل البشرى أن يصبر على ما لا
يحيط به علما ، فتعجل الجدل ،
واعترض على كل صنع صنعته
العقل الموهوب ، وعرف أنه لا
يستطيع أن يسايره ، وأعطى المخز
لصاحبه أن يفارقه . ولكنه سأل أن
يفسر له سر ما صنع .

فانطلق العقل الموهوب يشرح له
أسرار أفعاله ، وختما بقوله : وما
صنعت عن أمرى ، أى هكذا صنع
الله . وهكذا شاعت قدرته . أن
يتخطى الأسباب الظاهرة الى أسباب
خفية لا يعرفها البشر .

فأسرار الكون لا يحل مغالبتها الا
صاحبها الذى خلقها :

« وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا
هو ، ويعلم ما فى البحر .. » (٧)

فمنهم من صدقها وهم الذين يعلمون
قدرة الله ، ويرونها فوق كل شئ ،
ومنهم من أنكرها وهؤلاء العلميون
الماديين . اعتبدا على ما درسوه
من علوم الدنيا ، التى تقوم على
الظن ، ولا تتخطى ظاهر الكون .
« وإن الظن لا يغنى من الحق
شيئا . » (٥) .

« ولكن أكثر الناس لا يعلمون .
يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا » (٦) .

★ ★ ★ ★

وتقدمت المعارف البشرية نوعا ما .
وجاء فى عصرنا هذا من استطاع أن
يشق القلب ويجرى به العمليات
الجراحية ، ويستبدل به آخر حين
يريد ، بشريا أو حيوانيا أو صناعيا .
ونجحت تلك الجراحات حينما ،
وأخطأت أحيانا !

فأخرس ذلك السنة المتعاملين الذين
أنكروا هذا العمل من قبل ،
واستبعدوها على محمد رسول الله
الذى يهيئه ربه لأعظم رسالاته .

★ ★ ★ ★

كما استبعد هؤلاء وأمثالهم حديث
الاسراء ، وأن يكون النبى قد أسرى
به بجسده وروحه وعرج به الى
السوات العلى بجسده وروحه .
وتعلوا بجاذبية الأرض التى لا
ينفذ منها الإنسان أبدا ، ثم بجو
السماء الذى يخلق المتعالى فيه شيئا
فشيئا .

تعللوا بهذا وأمثاله حتى جاء عصر
الفضاء ، ورأينا الإنسان يذلل هذه
العقبات ، ثم يسبح فى الفضاء ،
ويسير على صفحة القمر ، ويستعد
للسفر الى الكواكب الأخرى .

سمعه الذى يسمع . لان ما وراء هذا العالم لا تحرکه الحواس التى خلقت للأرض وحدها . فكان من الضروري أن يرى ويسمع بقلبه ، وأن تتطبع فى نفسه تلك الصور . فيدركها بفؤاده اللطيف ، الذى لا يكذب أبداً .

وعملية خلق القلب ذلك الخسلق الجديد ، حتى يحيط بما لم يحيط به الناس ، ويمضى على الفطرة السلية حتى لا ينحرف كما ينحرف سائر البشر ويدرك من أسرار الكون ما لا يدركون — تلك هى النعمة الكبرى ، التى أنعم الله به على رسوله ، وفكره بها فى قوله تعالى :

« وأما بنعمة ربك فحدث . ألم نشرح لك صدرك ؟ ! »

« وما أوتيتهم من المصلم الا قليلا » . (٨) .

لهذا كان الايمان بالغيب ، وما لا تحيط به عقولنا القاصرة ضرورة . وبهذا جاءت رسالات الانبياء .

★ ★ ★ ★

وقد ذكرت فى مقال آخر أن قلب الرسول صلى الله عليه وسلم كان الموضع الذى أجريت فيه عمليات الخلق الجديد حين نزل عليه : اقرأ باسم ربك الذى خلق .

وحين أراد أن يسرى به فى ملكونه صار النبى يرى ويسمع بفؤاده ما يجرى فى المسلا الأعلى قال تعالى :

« ما كذب الفؤاد ما رأى » (٩) .

فلم تكن عينه التى ترى . ولا



- | | |
|---------------------|------------------------------------|
| (٥) النجم : ٢٨ | (١) روى ذلك عن طاوس . وعمر بن عبد |
| (٦) الروم : ٦ ، ٧ . | المعزى : تفسير النيسابورى . |
| (٧) الانعام : ٥٩ | (٢) فى القاموس المحيط . شرح ، وشرح |
| (٨) الاسراء : ٨٥ | بتصنيف الراى بمعنى واحد . |
| (٩) النجم : ١١ | (٣) فاطر : ٢٨ |
| | (٤) فصلت : ٥٣ |

التأمين التجارى وأصول الشريعة الإسلامية

الدكتور عبد الناصر توفيق العطار

الحياة لا تخلو من كوارث ومخاطر تصيب الإنسان في شخصه كالموت والمرض أو في ماله كالحريق والهلاك والتلف ومسئوليته عن خطئه .. الخ وتزايد هذه الكوارث والمخاطر وتنوع في العصر الحديث بتنوع استخدام وسائل المكنية الحديثة كالسيارات والآلات والأجهزة السلكية واللاسلكية ويتخذ أكثر الناس وسائل للوقاية من هذه الكوارث وتلك المخاطر كالطميم ضد الأوبئة والعلاج من المرض والتوسع في استخدام وسائل الأمن الصناعي لحفظ الأموال والأشخاص من الهلاك أو التلف وتنظيم استخدام وسائل المكنية الحديثة بما يكفل أكبر قدر من الأمن

١ — عقد التأمين التجارى من العقود المستحدثة التى اختلف فقهاء هذا العصر حول حكم الشريعة الإسلامية فيها . ولكل رأى من آراء هؤلاء الفقهاء دليله ، وفى هذا المقال وما يليه من مقالات ، نعرض — أن شاء الله — هذه الأدلة على أصول الشريعة الإسلامية ، سواء أدلة من أجازوه أو أدلة من حرموه ، لنعرف مدى صحة الاستدلال بهذا الدليل أو ذاك ، عسى الله عز وجل أن يهدينا الى أصوب رأى فيه .

خفوا حفركم

٢ — ان أنصار التأمين يذكرون أن

فيها . . . الخ . والتأمين من الوسائل الحديثة للوقاية من الأخطار التي قد تنتج عند موت شخص أو هلاك ماله أو ثبوت مسئوليته حيث يجبر مبلغ التأمين الذي يحصل عليه المؤمن له أو المستفيد ما قد يلحقه من ضرر الكوارث والمخاطر المؤمن منها .

وإذا كان التأمين التجاري من وسائل جبر ضرر الكوارث والوقاية من الأخطار كالأملاص والضیاع وغيرها ، فقد ساق بعض من أجاز التأمين (١) دليلا شرعيا على جوازه هو قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم » (٢) ووجه الاستدلال بهذه الآية أن المؤمن له بمعهده التأمين يأخذ حذره من غوائل المستقبل ، وقد دعنا الآية الى الأخذ بأسباب الحذر أيا كانت ، والتأمين من أسباب الأخذ بالحذر ، فمجوز شرعا .

وإذا عرضنا الاستدلال سالف الذكر على أصول الشريعة الإسلامية لوجدنا أن هذا الاستدلال غير كاف للقول بجواز التأمين التجاري شرعا ، فهو استدلال قاصر . ذلك أن الآية سالفة الذكر وردت للحذر من العدو . عند قتاله ، والمراد منها خذوا سلاحكم حذرا أو احذروا عدوكم .

وإذا كانت الآية قد نزلت بخصوص الحذر من الأعداء ، إلا أنه ليس هناك ما يمنع من أن تكون عامة في اتخاذ أسباب الحذر من أي خطر ، لأن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وقد وردت الفاظ الآية عامة « خذوا حذرکم » دون تخصيص لذلك بخطر معين . ومع ذلك لا يكفي الاستدلال بهذه الآية على جواز التأمين شرعا ، لأن الآية مخاطبة الذي آمنوا باتخاذ أسباب الحذر ، وهؤلاء لا يتخذون إلا وسائل مشروعة تتفق مع أحكام الشرع ، فهل ثبت أن التأمين وسيلة

من الوسائل المشروعة حتى ندعو الذين آمنوا الى اتخاذها كسبب من أسباب الحذر ؟ هذا أمر لم يثبت بعد ، لأن فريقا من العلماء ينازع في شرعية التأمين (٣) . وبالتالي إذا أريد الاستدلال بالآية سالفة الذكر على جواز التأمين التجاري شرعا ، فيجب أن يثبت قبل ذلك أن التأمين وسيلة يقرها الشرع ، والا كان الاستدلال بهذه الآية غير كاف .

القضاء والقدر

٣ - وقد لاحظ فريق ممن حرم التأمين أنه مهما اتخذ الناس من وسائل للحيلة ضد وقوع الكوارث والمخاطر ، فإنه لا يغني حذر من قدر والمتأمل في حياة أشد الناس حيطة وحرصا وحذرا لا بد أن يؤمن بالقضاء والقدر . وتقدر الله هو سننه ونواميسه في الكون ، وقضاؤه هو انفاذه القدر أي إيجاده الكائنات وتسييرها وفق ما قدره سبحانه . قال تعالى : « أنا كل شيء خلقناه بقدر . وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر » (٤) وقد استدلل هؤلاء الفقهاء (٥) بهاتين الآيتين وأمثالهما في القضاء والقدر على تحريم التأمين . ووجهة نظرهم تتلخص في أن التأمين إنكار للقدر ، أو هو على الأقل تحد لقضاء الله وقدره واجترأ عليه بينما لا يملك أحد أن يمنع قضاء الله وقدره .

وإذا عرضنا الاستدلال السابق على أصول الشريعة الإسلامية ، نجد أنه استدلال غير صحيح ، لأن التأمين ليس إنكارا للقدر وإنما هو اعتراف به ومحاولة للتخفيف من آثاره لأنه ليس ضمانا لعدم وقوع الخطر وإنما هو ضمان لجبر الضرر الذي

النفس وكبح جماحها ، وقدر ثالث يمكن للانسان دفعه بقدر آخر كأعداء الذين تقاومهم فندفع قدرا بقدر (٨) . وهكذا ننقذ الى أن التأمين التجاري ليس فيه انكار للقدر ولا تحد له ، وأن الاستدلال بآيات القضاء والقدر على تحريمه استدلال غير صحيح لا يتفق مع أصول الشريعة الإسلامية الفراء .

التوكل على الله

٤ - لا شك أنه يجب على كل مسلم أن يتوكل على الله ، فهل نرى التأمين ما يتنافى مع التوكل على الله عز وجل ، أو أن فيه توكلا عليه سبحانه .

قد يبدو أن التأمين يتنافى مع التوكل على الله عز وجل ، فالؤمن له لا يعتمد على الله عز وجل في دفع ما قد يلحق به من ضرر ، وإنما يعتمد على المؤمن الذي سيدفع له مبلغ التأمين عند تحقق الخطر المؤمن منه ، وقد قال تعالى : « .. وليس بضارهم شيئا إلا بأذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٩) .

وقد يبدو أن التأمين فيه توكل على الله عز وجل ، إذ يصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم « اعقلها وتوكل » لأن المؤمن له لا يترك نفسه أو ماله نهيا للمخاطر التي قد تلحق به وإنما يحتاط لنفسه بالتأمين ثم يتوكل على الله عز وجل .

والصحيح أن التوكل على الله عز وجل هو الاعتماد على رب الأرباب مع عدم التفريط في الأخذ بالأسباب . وقد انقسمت الخلائق بالنسبة الى التوكل على الله عز وجل الى ثلاثة أقسام (١٠) قسم أهمل الأسباب واعتقد على قدرة الله تعالى . وهذا تفريط وسوء

يحدث عند وقوع الخطر المؤمن منه . فمن يؤمن حياته ضد الموت أو يؤمن بضاعته ضد الفرق أو الحريق يعترف بالقضاء والقدر ويخشاه ويسمى للتخفيف مما قد ينتج عنه من أضرار . وقد شبه بعض الفقهاء (٦) التأمين بسفود الصاعقة ، وهو القضيب الحديدي الدقيق الرأس الذي يوضع في قمم المآذن أو المباني العالية ، فهو لا يمنع الصاعقة ولكنه يخفف من أثرها إذ يتلقى شرارتها ويحولها الى جسمه حتى تتلاشى ، وليس في وضعه في قمم المباني العالية تحد لأرادة الله عز وجل أو انكار للقدر ، بل فيه اعتراف بقضاء الله وقدره . من جهة أخرى تجد المؤمن يعتمد في حساباته لوقوع الخطر على علم الإحصاء ، ليعرف نسب الوفيات ونسب الحرائق ونسب حوادث السيارات وغير ذلك من المخاطر التي يقبل التأمين عليها . وقد ثبت في علم الإحصاء أن الكوارث في الكون لا تحدث جزاء ، وأن القضاء والقدر وإن كان مفاجئا لشخص معين إلا أن له ضوابط بالنسبة للكون كله . وقد سبق القرآن الكريم الى بيان هذه الحقيقة حيث قال تعالى فيه « وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » (٧) . واعتماد المؤمن على ذلك وسعيه لمعرفة نسب الحوادث إنما هو إيمان بالقضاء والقدر واعتراف به . ويمكن القول بأن الاتفاق على عقد التأمين إنما هو اتفاق على التخفيف من آثار القدر ، أو هو اتفاق على دفع قدر بقدر فالقدر يمكن تقسيمه الى ثلاثة أنواع : قدر يستحيل على الإنسان دفعه كالموت ، وقدر يمكن التخفيف من آثاره كغريزة حب الذات فهي تدر غالب لكن يمكن التخفيف من آثاره بتهذيب

بها للقول بجواز التأمين شرعا أو
بتحريمه .



وهكذا ننتهى ، السى أن التأمين
التجارى إذا كان سببا من أسباب
الآخذ بالحذر فليس فى هذا دليل
كاف على جوازه شرعا ، كذلك لا يصح
القول بأن فيه ما يتنافى مع قضاء
الله وقدره للاستناد الى ذلك فى
تحريمه ، فقد رأينا أنه اعتراف بقضاء
الله وقدره ومحاولة للتخفيف من آثاره
ليس فيها أى تحد لارادة الله عز
وجل . كذلك انتهينا الى أن التأمين
التجارى لا شأن له فى ذاته بالتوكل
على الله أو عدم التوكل عليه ، فمرجع
ذلك الى النية .

الأمر بالوفاء بالمعقود .

٥ - من المعروف أن التأمين عقد
يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدي السى
المؤمن له أو الى المستفيد الذى
اشتراط التأمين لصالحه مبلغا من المال
أو ايرادا مرتبا أو أى عوض مالى آخر
فى حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر
المبين بالمعقد ، وذلك فى نظير قسط أو
أية دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له
للمؤمن الذى يأخذ على عاتقه مجموعة
من المخاطر ويجرى بينها مقاصدة طبقا
لقوانين الاحصاء .

ومن المعروف كذلك أن الله عز
وجل أمرنا بالوفاء بالمعقود . قال
تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا
بالمعقود » (١٢) .

وقد استدل بعض من أباح التأمين
(١٣) بالآية سائلة الذكر على جوازه
شرعا . ووجه الاستدلال أن لفظ

أدب مع الله تعالى لأنه سبحانه رتب
المسببات على الأسباب . وقسم آخر
اتخذ الأسباب وأعرض عن الاعتماد
على رب الأرباب ، وهذا ادعاء بالعلم
لا محل له لأنه ينقصه الإيمان بمسبب
الأسباب ، وكم من أسباب اتخذت
ولم تترتب عليها نتائجها ، مما يدل على
أن هناك ارادة أخرى تتدخل فى
ترتيب هذه النتائج هى ارادة الله
تعالى . والقسم الثالث جممع بين
اتخاذ الأسباب والاعتماد على رب
الأرباب ، وهذا هو التوكل بحق على
الله عز وجل .

والتأمين يتخذ سببا لجلب منفعة أو
دفع مضرة ، فالمؤمن له يتخذ سببا
لجلب منفعة حاضرة بأبخار ما فاض
معه من نقود فى صورة أقساط التأمين
أو لجلب منفعة مستقبلية ليعود به هو
أو ورثته الى مركزه المالى قبل تحقق
الخطر إذا حل به هذا الخطر . كما
قد يتخذ المؤمن له سببا لدفع ضرر
حاضر كالقلق والخوف من وقوع
الخطر المؤمن منه أو لدفع ضرر
مستقبل عند وقوع الخطر بقبض مبلغ
التأمين لجبر ما لحقه من ضرر (١١) .
وإذا كان التأمين اتخذا للأسباب ،
فقد يكون فيه توكلا على الله عز وجل
وذلك إذا اعتمد المؤمن له فيه على
رب الأرباب فى دفع الخطر ونفى
أمل الحصول على مبلغ التأمين أن
تحقق الخطر ، كما أن التأمين قد يخلو
من التوكل على الله وذلك إذا اعتمد
المؤمن له فيه على المؤمن ولم يعتمد
فيه على الله عز وجل . فالأمر يتوقف
على علاقة المؤمن له بربه ونيته عند
التأمين ، ولا شأن لنظام التأمين فى
ذاته بالتوكل على الله . جل وعلا .
وبالتالى لا يصلح الاستناد الى آيات
التوكل على الله والاحاديث المتصلة

العقود كالعقد على الربا والعقد على
الضرر والعقد على لحم الخنزير والعقد
على الميسر (القمار) . . الخ . كما
نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن
عقود أخرى كعقد الغرر وبيع حاضر
لباد وبيع النجش وبيع الحصة وبيع
الملامسة وبيع المنابذة وغير ذلك
مما هو محظور في الشريعة الإسلامية
وهذا النهي عن بعض العقود يدل
على أن لفظ العقود وارد في الآية
ليس لفظا عاما وإنما هو لفظ مجمل .
كما يدل هذا النهي على أن المراد
بالمعقود في الآية سائفة الذكر هو
العقود الخالية من المحظورات . يؤكد
ذلك أن الآية تخاطب الذين آمنوا ،
وهم من صدقوا بكل ما جاء في كتاب
الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم (١٥) .

ولا يلزم أن يصرح الشارع بكل
محظور تفصيلا بجميع أنواعه ، إذ
يكفى أن يضع الشارع القواعد
لنستنبط منها ونقيس عليها . قاله
سبحانه مثلا نهى عن الميسر فدخل
فيه كل نوع منه ما كان من قبل وما
يستحدث فيه ، والرسول صلى الله
عليه وسلم نهى عن الغرر فدخل فيه
ما كان منه وما يكون فيه بعد ذلك . .
وهكذا . وبالتالي لا يصح القول بأن
التأمين لو كان محظورا لبينه رسول
الله صلى الله عليه وسلم لأنه بعث
لبيان الحلال والحرام ، فالرسول
صلى الله عليه وسلم وضع لنا
القواعد وبلغ الرسالة وأدى الأمانة
وعليها أن تطبق هذه القواعد لنسرى
هل التأمين جائز شرعا أم هو محظور؟
ومن المعروف أن فريقا من الفقهاء يرى
أن تطبيق هذه القواعد يؤدي إلى
القول بأن التأمين فيه ربا وغرر وجهالة
ومخالفة لقواعد الميراث والوصية مما
هو محظور .

المعقود في الآية الكريمة لفظ عام ،
فيشمل عقد التأمين وغيره من العقود
ولو لم يشملها وكان محظورا لبينه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه
بعث لبيان الحلال والحرام ، وقد بلغ
الرسالة وأدى الأمانة . والشارع هنا
في الآية الكريمة كان في مقام البيان
لا الإجمال ، وحيث لم يبين يكسبون
العموم مرادا ويدخل عقد التأمين
تحت عموم كلمة المعقود .

والحجة السابغة غير سليمة في
الاستدلال على جواز التأمين شرعا ،
كما أنها غير كافية للقول بمشروعيته .
فليس صحيحا أن الآية الكريمة
عامّة في وجوب الوفاء بكل عقد ،
لأنه لا يمثل أن تأمر الآية بالوفاء بعقد
القمار مثلا أو عقد الربا أو غير ذلك
من العقود المحظورة ، فدل ذلك على
أن لفظ المعقود فيها ليس لفظا عاما
وإنما هو لفظ مجمل ، وقد فسرت هذا
اللفظ المجمل آيات أخرى كما فسرت
سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .
ومما يؤكد أن لفظ المعقود في الآية
سائفة الذكر لفظ مجمل ، أن سياق
هذه الآية يدل على أن الشارع كان في
مقام الإجمال لا البيان ، فهو سبحانه
لم يذكر الآية لبيان العقود الجائزة
وإنما أجل ذلك ، فقال تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالمعقود ،
أحلّت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى
عليكم غير محلى الصيد وأنتم حرم ،
إن الله يحكم ما يريد » (١٤) . وهذه
كلها آية واحدة ، والوفاء بالمعقود
شطر منها ، مما يدل على أن لفظ
المعقود هنا لفظ مجمل .

وقد فسر الشارع لفظ المعقود
المجمل هنا نبيته في آيات أخرى ،
كما فسر الرسول صلى الله عليه
وسلم ببيان المعقود المنهى عنها . قاله
عز وجل في آيات أخرى نهى عن عدة

وطالما انتهينا الى أن لفظ العقود في الآية الكريمة سالفة الذكر ، ليس لفظا عاما وانما هو لفظ مجمل ، وأن الشارع قد فسر هذا اللفظ المجمل بأن المراد منه هو العقود التي استوفت الشروط والأركان وخلصت من المحظورات ، فانه اذا أريد الاستدلال بهذه الآية على وجوب الوفاء بعقد التأمين وجوازه شرعا ، فانه يجب قبل ذلك أن يثبت أن عقد التأمين قد استوفى ما نصت عليه الشريعة الإسلامية من أركان وشروط وخلا من المحظورات ، وهو أمر لا زال محل نزاع بين العلماء ، وبالتالي كان الاستدلال بهذه الآية على جواز التأمين شرعا استدلالا غير كاف .

استحداث عقود في الإسلام

٦ — ذهب بعض من حرم التأمين (١٦) الى أن العقود الجائزة في الإسلام واردة على سبيل الحصر ، وأن عقد التأمين ليس من العقود المعروفة في صدر الإسلام ، فلا يكون عقدا جائزا شرعا ، على أساس أن الإسلام — في نظر هذا الفريق من الفقهاء — لا يجيز أحداث أي عقد لم يكن معروفا في صدره ، لأنه جاء كاملا ولأن إضافة عقود أخرى الى العقود المعروفة في شريعته معناها أحداث تشريع جديد بدون استناد . ويكاد يكون هذا الرأي رد فعل على نقيض الرأي السابق الذي ينادى بأن الوفاء بالعقد يشمل كل عقد فيشمل عقد التأمين ! وكان هذا الرأي يذهب الى أن المقصود بالعقد في آية سورة المائدة سالفة الذكر هو العقد المعروفة في صدر الإسلام ! والصحيح أن الزعم بأن الإسلام لا يجيز أحداث أي عقد لم يكن معروفا

في صدره ، انما هو دعوى بسلا دليل .

وأضافة عقد جديد الى العقود المعروفة في صدر الإسلام لا يعني أحداث تشريع جديد دون استناد ، لأن العقد الجديد قد يتفق مع أصول الشريعة الإسلامية وقد يختلف معها . فإذا كان العقد الجديد لا يتعارض مع أصول الشريعة وأحكامها فهو خاضع لما شرعه الله ورسوله وليس فيه تشريع جديد دون استناد ، لأنه يستند الى الأصول العامة للشريعة الفراء أما اذا كان العقد الجديد يختلف مع أصول الشريعة وأحكامها فهو مردود لأنه لا يستند الى شيء من هذه الأصول ولا تلك الأحكام . فالأمر يتوقف على مدى اتفاق العقد الجديد مع أصول الشريعة الإسلامية وأحكامها . وبالتالي اذا كان عقد التأمين عقدا جديدا فهل يتفق مع أصول الشريعة وأحكامها فيكون جائزا شرعا أم يختلف معها فلا يجوز شرعا ؟ هذا أمر يتطلب بحث عقود التأمين ذاته .

واستحداث عقد جديد لا ينتقص من كمال الإسلام شيئا ، لأن كماله يتأتى من أن قواعده فيها ما يحكم على كل جديد ، لا أن قواعده صرحت بكل صغيرة وكبيرة فيمنع الجسد ، وبالتالي للناس أن يتعارفوا على أنواع جديدة من العقود ، وعلى الفقهاء عندئذ استنباط حكم الإسلام في هذه العقود الجديدة . (١٧) .

وطالما انتهينا الى أنه يجوز استحداث عقود جديدة في الإسلام ، اذا كانت هذه العقود لا تتعارض مع أصول الشريعة الإسلامية وأحكامها فانه يتضح أن لفظ العقود في الآية الأولى من سورة المائدة لا يقتصر على العقود المعروفة في صدر الإسلام

وانما يشمل ما يستحدث بعد ذلك طالما استوفى الشروط والاركان وخلا من المحظورات .

الأصل هو الإباحة

٧ - على أن نرى آخر من الفقهاء (١٨) استدلل على جواز التامين شرعا بان الأصل هو الإباحة . قال تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا .. (١٩) وطالما خلق الله عز وجل لنا ما فى الارض جميعا لننتفع به ، فان الأصل فى معاملات الناس فيها خلقه الله لنفهمهم هو الإباحة . وبالتالي فان الأصل فى عقد التامين

وهو معاملة وشروط هو الإباحة ، فيكون عقدا جائزا شرعا بهذا الاعتبار .

والاستدلال سالف الذكر غير كاف ، لانه اذا كان الأصل فى المقصود والشروط هو الإباحة (٢٠) ، فذلك اذا لم يثبت أن العقد أو الشرط لا يتعارض مع أصول الشريعة الإسلامية وأحكامها . فهل ثبت ذلك فى عقد التامين حتى نستدل على جوازه شرعا ؟ الأمر يتطلب بحث عقد التامين ذاته .

والى مقال تال نستكمل الجزء التالى من هذا البحث ان شاء الله تعالى .. !!

على قارعة الطريق وتداويه من المرض ، فهو اتخاذ للأسباب لحفظ وجود أو جلب منفعة أو دفع ضرر لم ينزل به أو نزل . (١٢) من الآية الأولى من سورة المائدة . (١٣) على آل كاشف الغطاء فى بعثه المقدم لجميع اليهود الإسلامية بالآزهر الشريف . (١٤) الآية الأولى من سورة المائدة . (١٥) أحمد التجدى فى رسالته « عقد التامين بين الشريعة والقانون » ص ٢٨ . (١٦) عبد الستار السيد وغفر الدين الحسينى من علماء سوريا فى بعثهما لجميع اليهود الإسلامية بالآزهر الشريف . (١٧) مصطفى الزرقا والصديق الضيررسى أسبوع الفقه الإسلامى بدمشق ١٩٦١ م ص ٢٨٨ و ٢٨٩ على التوالي . ومحمود قاسم بعبين فى بعثه لجميع اليهود الإسلامية . وأحمد الخريصى ، فى بعثه لجميع اليهود الإسلامية . (١٨) عبد الرحمن عيسى فى أسبوع الفقه الإسلامى بدمشق ١٩٦١ م ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ - ٢٧٨ . (١٩) من الآية ٢٩ سورة البقرة .

(١) محمد وصفى فى مقال له بجملة منبر الإسلام ص ٢١ عدد ١٢ . (٢) من الآية ٧١ من سورة النساء . (٣) أحمد التجدى فى « عقد التامين بين الشريعة والقانون » رسالة على الأمانة المكتبة ص ٢٢٨ . (٤) الإيمان ٤٩ و ٥٠ سورة القمر . (٥) أحمد الخريصى فى بحث له لجميع اليهود الإسلامية بالآزهر الشريف . (٦) مصطفى الزرقا فى أسبوع الفقه الإسلامى بدمشق ١٩٦١ م ص ٤٠٠ و ٤٠١ . (٧) الإيمان ٨ و ٩ سورة الرعد . (٨) على الخفيف فى بعثه المقدم لجميع اليهود الإسلامية بالآزهر الشريف ص ٢٦ وأحمد التجدى فى رسالته المرجع السابق ص ٢٢٩ .. (٩) من الآية ١٠ سورة المجادلة . (١٠) زاد المعاد ٢ ص ١٤ . (١١) قطان الدروى فى رسالته عن التامين ص ١٤٢ ويرى أنسمى المؤمن له لجلب المنفعة يشبهه سعيه لأخار مائضى معه من نقود وكافاله الحبة فى الأرض لتفريج زرا ، وسعيه لدفع ضرر يشبه عدم تومه

حول ولاية الحرب على النفس في

الطلاق وتعدد الزوجات

الاستاذ : محمد عزة دروزة

وانا اشاركه في ما جاء في تمهيدات مقاله من تنبيهات وانتقادات وملاحظات فيها سداد . وفيها دفاع عن الشريعة الاسلامية وايجاب الالتزام بها وعدم تهاون الحكومات الاسلامية في ذلك واستبدال النظم والاتجاهات الغربية بها وجعلها متأثرة بها .
وبيت القصيد في مقاله هو ما

قرأت المقال المتع للدكتور محمد البهي في عدد جمادى الاولى من مجلة (الوعي الاسلامي) بالمعنوان الذي عنونت به هذا المقال .
وانا اعترف بان الدكتور عالم متمكن واقدر عمله وفضله . واعرف ان عمله وتبكه مما يجعل لكتاباته قوة واثرا في القارئ ويوجب عليه احترامه .

حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون .. »
البقرة ٢٢٩ .

٢ - « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لاعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا وانكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم .. » البقرة ٢٣١ .

٣ - « وأن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فاتكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان ختم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعملوا » (١) النساء ٣ .

٤ - « يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن (٢) لتذهبوا ببعض ما آتيتهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتوهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا . وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم أحداهن مئطرا فلا تأخذوا منه شيئا تأخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا .. » النساء ١٨ - ٢٠ .

٥ - « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو أعراضا فلا جناح عليها أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون

عنون به القتال وعنونا به مقاتنا . ولقد بدأ كلامه بقوله (وإن حاولت الدولة أن تسقط ولاية الرجل على نفسه في الطلاق وفي تعدد الزوجات وتجمل للقاضي بدلا منه حق الترخيص بهذين الأمرين تكون قد سارت بالعلمانية أو فصل الدين عن الدولة إلى نهاية الشوط في شئون الأسرة وبالتالي إلى ترك الإسلام كلية وإبعاده عن مجالات العلاقات بين الأفراد إلى خصوصياتهم) ثم أخذ يعرض آيات الطلاق وتعدد الزوجات ويشرحها وينبه على ما فيها من تقرير لكون الرجل هو صاحب الولاية فيهما وحسب دونها استدراك أو استثناء .

وأعتقد أن هذا يتحمل كلا ما جديرا بالتأمل . واني أعجب أن يكون الذكور الأملى قد فاته ذلك .

فأولا : ليس من أحد يستطيع أن ينكر أن كثيرا من المسلمين في مختلف الحقب أساءوا وما يزالون يسيئون استعمال ولايتهم على أنفسهم في الطلاق وتعدد الزوجات . وأن ذلك قد بلغ حد الظلم وأدى وما يزال يؤدي إلى فواجع ومأس آليسة محزنة .

وثانيا : أن في القرآن آيات تلهم أن أساء استعمال تلك الولاية والوقوع في إثم ذلك متوقع كما تفيد هذه الآيات :

١ - « الطلاق مرتان فامسك بغيره أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتهن شيئا إلا أن يخاصا أن لا يقيما حدود الله فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما في ما افترت به تلك

خبيرا . ولن تستطيعوا أن تعملوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما . وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته . وكان الله واسما حكيما .. »
النساء ١٢٨ - ١٣٠ .

٦ - « يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة وانتقوا الله ريكما لا تخرجهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا . فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمسروف أو فارتوهن بمسروف واشهدوا ذوي عدل منكم واقبوا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا » الطلاق ١ و ٢ .

ثالثا : أن اساءة استعمال المسلم لولايته على نفسه في الطلاق تكون في حالتين . الاولى أن ينقض بنزواته وانفعالاته فيسرع في استعمال هذه الولاية بدون ترو وتدبر ولأنه الأسباب مما يؤدي إلى ظلم وشقاء الزوجية والأولاد وانهدام الحياة الزوجية وتحقق المآسى والفواجع .

في حين أن الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله كما وصفه رسول الله (٣) إنما أبيع من أجل الفراق الذي لا يكون مناص منه بعد استفاد بالمعروف وكظم للغيظ في حالة كل الوسائل التي أمر الله من معاشرة بالمعروف وكظم للغيظ في حالة الكراهية وعدم العضل للإبتراز وبذل الجهد للإصلاح والصلح كما جاء في آيات النساء ١٨ - ٢٠ و ١٢٨ - ١٣٠ التي أوردناها آنفا ، وكما جاء في آية سورة النساء هذه (وان خفتم شقاق بينهما فامسوا حكما من أهله وحكما من أهلها أن يريدوا

اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا) ٢٥ ، ثم من مراجعة مرة بعد مرة وحث على العودة إلى الزوج في حال غلبة الظن بالصلاح والاصلاح كما جاء في آيات البقرة هذه (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قسروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن أن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ويمولتهن أحق بردهن في ذلك ان أرادوا اصلاحا) ٢٢٩ ، وهذه (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ اذا من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون) ٢٣٣ ، وأصبح الوسيلة الوحيدة لخلاص الزوجة من الشقاق والشقاء .

والحالة الثانية : أن يكون تمسك الزوج بولايته بقصد الإبتزاز والاعتداء والمكيدة والاضرار الذي نهى عليه آيات البقرة ٢٣١ والنساء ١٨ مع الشذوذ عن المبدأ القرآني المحكم الذي أتم الله عز وجل عليه الحياة الزوجية الرضية وهو الأسسك بالمعروف أو التسريح بإحسان كما جاء في الآيتين ٢٢٩ و ٢٣١ من البقرة والآية الثانية من سورة الطلاق فيتحقق بذلك الظلم وتقعد المودة والرحمة اللتين جعلها الله أساسا للحياة الزوجية كما جاء في آية سورة الروم (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يفتكرون) .. (٢١) .

وفي صدد اساءة استعمال المسلم لولايته على نفسه في تعدد الزوجات نقول ان الله قد نبه في آية النساء (٣) ان التعدد مظنة الجور وعدم العدل . ونبه في آية النساء (١٢٩)

على نفسه في الطلاق وتعدد الزوجات ولو شذ عن المبدأ القرآني المحكم الأمسك بالمعروف والتصریح بأحسن ولو تمسك بزوجه لضررها والاعتداء عليها وأبتزازها . ولو كان غضا غليظ القلب فاحش اللسان طويل اليد بالضرب والأذى . ولو كان مندفعاً وراء نزواته وانفعالاته يطلق كيف يشاء ويقزوج كيف يشاء أو سكيراً فاسقاً وعريبداً ولو كان غير قادر على الاتفاق على زوجة واحدة فضلاً عن أكثر من واحدة . ولو كانت زوجته مغنية منجبة حيث يكون كل هذا تجاوزاً على حدود الله وسبباً في الظلم والضرر والشقاء وانهدام الحياة الزوجية .

خامساً : وإذا كان ما قلناه ان الله لا يرضى عن سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه في الطلاق والتعدد حقاً فإن هذا يستتبع أن يقال ان الله تعالى يرضى عن الحد من هذه الولاية لتلافي نتائج الاساءة في استعمالها . ولا سيما ان الله قد تبه على أن الشذوذ في استعمال هذه الولاية واساعتها وما يؤدي ذلك اليه من جور وظلم متوقع .

سادساً : ان المتبعن في كتاب الله واجد فيه الوسائل الى ذلك بحيث يصدق القول ان الحد من سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه في الطلاق والتعدد متنسق مع كتاب الله عز وجل وليس فصلاً للدين عن الدولة ولا ايضاً في العلباتية والاستغراب ولا تعطيلاً لشريعة الله .

فبالإضافة الى ما في كتاب الله من شجب للائم والظلم والتجاوز على حدود الله وإيجاب دوران حريسة

ان العدل غير مستطاع . ونبه في الآية (٣) بناء على ذلك على أن الأولى للمسلم ان يكتفى بزوجة واحدة . وإذا كان الله سبحانه لم يفلق الباب فلانه يعلم أن طبيعة الحياة تقتضى بقاءه مفتوحاً وقاية للرجل من إثم الزنا أو ضرر الحرمان والكبت أو تحقيقاً للرغبة في البنين من حيث أن تكون زوجته الأولى مريضة مرضاً مانعاً أو عجوزاً أو غير مشتهية أو عاقراً أو من حيث اضطرابه الى غياب طويل الخ الخ وقد ابقى الله الباب مفتوحاً في ظل التنبيهات والتحذيرات المذكورة وفي ظل ما يكون من قدرة على الاتفاق التي هي من صور وواجبات العدل المطلوب . واساءة استعمال هذه الرخصة تكون في اندفاع الرجل وراء شهواته ونزواته في حين يكون عنده زوجة مغنية منجبة . وتكون كذلك في عدم القدرة على الاتفاق . وعدم المبالاة بالعدل بين الزوجات والأولاد فتتحقق بذلك المآسى والفواجع في الشقاق والشقاء والضيايق والمداوة بين الأخوة والأخوات والزوجات الخ .

رابعاً : ان المتبادر الذي لا يصح ان يتبادر الى الذهن غيره هو أن الدعوة الى إيجاب جعل الطلاق وتعدد الزوجات منوطين بالقضاء قد هدفت الى الحد من سوء استعمال المسلم لولايته على نفسه في هاتين المسألتين وتلافي ما يمكن أن يؤدي ذلك اليه من ظلم وفواجع ومآس .

ونهدف بكل قوة ونقول ان الله عز وجل لا يمكن أن يرضى عن اساءة استعمال شرعه وما يمكن أن ينتج عنها من ظلم ومآس وفواجع وشقاء . وان حكمته وعدله ليأبيان أن يقول أحد إنه لا يجوز من ولاية المسلم

المسلم في أعماله وأقواله في نطاق الحلال واجتناب الحرام والظلم والأذى بصورة عامة مما يبطله آيات كثيرة كثرة تغني عن التمثيل فإن فيه آيات خاصة يمكن أن تكون منطلقاً ووسيلة إلى ذلك .

ففي آية النساء (٣٥) النسي اوردها قبل أمر الله المخاطبين بالمبادرة للتدخل بين الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما . والمبادرة للتدخل تكون أشد وجوباً إذا وقع الشقاق بطبيعة الحال . ومن أسباب الشقاق الذي يمكن أن ينشأ بين الزوجين أن يريد الزوج الزوج بأخرى أو أن يشذ عن المبدأ القرآني (الإمساك بالمعروف أو النصيحة بالإنسان) ويتمسك بزوجه بقصد المكيدة والضرر والابتزاز أو يكون طائشاً سريع الانفعال يطلق لانه الأسباب .

والخطاب في الآية عام يمكن أن يكون لجامعة الحل والعقد من المسلمين أو للحاكم . والحاكم على كل حال مخاطب فيها . وهي مطلقة بحيث يصح أن يقال في ضوء ذلك أن المبادرة يمكن أن تكون بمراجعة الزوجة أو أهلها أو من الحاكم مباشرة إذا بلغ احتمال الشقاق أو وقوعه ، والآية تأمر بالتدخل للإصلاح إلى إزالة أسباب الشقاق . وتلاني نتائج سوء استعمال الزوج لولايته على نفسه في الطلاق وتعدد الزوجات مما شرحنا صورته ومظاهره قبل . وقد ينجح الحكمان في إزالة الأسباب وتلافي النتائج وهو المقصود في التوجيه القرآني وقد لا ينجحان ويتمسك كل من الزوجين بموقفه فيتعذر الإصلاح والتوفيق . ومن الفقهاء من يجتهد بأن للحكمين أن يفرقا بين الزوجين

ويخلصا كلا منهما من الشقاق والشقاء وهذا من وجي آيات النساء (١٢٨) - (١٣٠) ومنهم من يقول إن الحكمين يقترجان التفريق على الحاكم والحاكم هو الذي يفرق . وعلى كل حال ففي ذلك تدخل في ولاية الرجل على نفسه وحد لها مسئلتهم من التوجيه القرآني . ولقد روى الشافعي في صدد ذلك حديثاً جاء فيه (جاء رجل وامرأة إلى علي رضي الله عنه ومع كل واحد منهما فئة من الناس . فأمرهم فبعتوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها ثم قال للحكمين أتدریان ما علیكما ان رأیتما أن تجعلا فاعملا . وان رأیتما التفريق فاعملا . قالت المرأة رضیت بكتاب الله بما علی فیہ ومالی . وقال الرجل أما الفرقة فلا . فقال علي فكتب والله حتى تقر بها أقرت به (٤)

وللفقهاء اجتهاد مماثل في صدد الإيلاء (٥) فإذا مضت الشهور الأربعة المينة للزوج المولى على ما ذكرته آيات سورة البقرة هذه (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاعوا فإن الله غفور رحيم . وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم) ٢٢٦ و ٢٢٧ . ولم يرجع الزوج عن إيلائه فإن الزوجة تطلق منه تلقائياً طلقه رجعية في اجتهاد وإن للزوجة أن ترفع أمرها للحاكم والحاكم يطلق على الزوج في اجتهاد حتى لا تبقى الزوجة معلقة منتظمة وتتضرر . وفي كلا الاجتهادين لا يملك الزوج أن يرفض بحجة أن الطلاق بيده وهو ولي نفسه عليه .

وكذلك في الظهار (٦) حيث يوجب القرآن على المظاهر الذي يعود عما قال كفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا .

فإذا امتنع الزوج عن التكثير فالزوجة ترفع أمرها للحاكم . والحاكم يجبر الزوج على التكثير أو يعين له مدة فإذا لم يكثر فيها طلق عليه ولا يملك الزوج الرفض بحجة ولا يته على نفسه في الطلاق حسب ما عليه اجتهادات الفقهاء وهو ما تلهمه روح التوجيهات القرآنية . ولقد قال بعض المفسرين ان جملة (فان خفتم) في آية البقرة ٢٢٥ موجهة للحكام . وهذا شديد تسوغه صيغة الآية حيث يكون في الآية على ضوء ذلك توجيه للحاكم بوجوب التدخل وحل النزاع الذي ينشعب بين الزوجين إذا خيف ان لا يقيا حدود الله . وفي الآية تسويغ لاقتداء الزوجة نفسها ببعض المال من زوجها حتى تخلص مما تعاتبه من أذى وشقاء . وفي صدد ذلك روى البخاري والنسائي عن ابن عباس (ان امرأة ثابت بن قيس أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الاسلام) تعنى أنها تكرهه ولا تطيق معاشرته وتخشى ان تكون في ذلك شاذة عن الدين) فقال رسول الله اتردين عليه حديثه قالت نعم قال اقبل الحديقة وطلقها تطليقة . وقد يقال ان الرجل استعمال ولايته ولكن هذا الاستعمال لم يكن في الحقيقة طوعا من نفسه وإنما هو اطاعة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

سابعها : ليس هناك خلاف في أن القضاء هو صاحب صلاحية في التدخل لتنفيذ وصية الموصى إذا رفض الورثة تنفيذها وكانت في حدود سنة رسول الله أي الثلث أو أقل . ولاعطاء كل ذي حق حقه من الارث إذا أراد بعض الورثة ظلم بعضهم الآخر

ولاعطاء صاحب الدين دينه من تركه الميت إذا رفض الورثة ذلك . وفي الزام المطلق أو ورثته بنفقة المطلقة وسكنها اثناء العدة وأجر رضاع طفلها . وفي الزام الزوج بدفع مهر زوجته . وفي التدخل لمنع الناس من أكل أموال بعضهم بالباطل .

وصيغ التشريعات القرآنية في هذه المسائل موجهة للمسلمين ليلتزموا بها ديناً وأماناً وتقوى . ووقفوا عند حدود الله وأوامره . وليست موجهة للحكام أي أنها تجعل الولاية للمسلمين على انفسهم في ذلك كله . وهي مماثلة في أسلوبها ومداها لصيغ آيات الطلاق وتعدد الزوجات .

ويبدو هذا من مقارنة الآيات مع بعضها . فإذا كان تدخل الحاكم سائغا في هذه الأمور فيكون ذلك سائغا أيضا فيما يتبادر لنا في مسائل اساءة الزوج لاستعمال ولايته على نفسه في الطلاق والتعدد .

وإذا قيل إن تلك المسائل حقوقية وللسلطان احقاق الحقوق فإن واجب السلطان في منع الظلم والضرر غير منازع فيه أيضا . وظلم الزوج لزوجته من أشد أنواع الظلم لأنه مؤد إلى الفواجع والمآسى وهدم الحياة الاجتماعية .

وآيات سورة الطلاق الأولى والثانية تأمر بإحصاء العدة واشهاد العدول وإقامة الشهادة لله . وكل هذا إنما يكون لاحتمال رفع الأبر للقضاء ويسوغ القول بالتالي أن القضاء مرجع لجميع هذه الأمور فليس في الدعوة إلى ذلك شذوذ وتجاوز يجعلانها بمثابة فصل الدين عن الدولة .

منوطا بان القضاء مطلقا . وجوابا
على هذا أقول أن الدكتور البهي أدار
الكلام على نقد المساس بولاية المسلم
على نفسه مطلقا ولم يستدرك ولم
يستثن فتائر كلامي بذلك .

ولقد أورد الدكتور آية سورة البقرة (٢٢٩) في سواغ اعتداء الزوجة نفسها ولكنه لم يذكر ماذا يكون الأمر إذا رفض الزوج وأصر على التمسك بزوجه ضاررا واعتداء ، وإبترازا . ولقد نبه الدكتور على مبدأ الإمساك بالمعروف والتسريح بالاحسان ولكنه لم يذكر ماذا يكون الأمر إذا شذ الزوج عن هذا المبدأ . ولقد أورد الدكتور آية سورة البقرة التي تأمر بعدم الإمساك بالزوجة المطلقة للضرر إذا بلغت أجلها وإمساكها بالمعروف أو مفارقتها بالمعروف ولم يذكر ماذا يكون الأمر إذا شذ الزوج عن ذلك . ولقد أورد الدكتور آية سورة النساء (٣) التي تأمر بالاكْتفاء بواحدة إذا خيف الجور وعدم العدل ولم يذكر ماذا يكون الأمر إذا تحقق الجور وعدم العدل بالتمدد .

ولا ريب في أن الدكتور يعترف أن للزوجة أن تراجع القضاء وأن للقضاء أن يتدخل وأن تدخله قد يصل إلى الحد من ولاية الزوج على نفسه في ضوء آية النساء (٣٥) والمآثورات واجتهادات الفقهاء فيها على ما شرحناه قبل . والظاهر أنه تحرز من ذكر ذلك حتى لا يضعف نقده .

ومن ذلك غائي لا أعتقد أن في كتاب الله وسنة رسوله ما يمنع أن يناط أمر الطلاق وتعدد الزوجات عامة بالقضاء الإسلامي الذي يكون الكتاب والسنة والفقهاء الذي يقوم عليهم

وهناك أحاديث نبوية كثيرة (٧) تفيد أن المسلمين كانوا يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم في مختلف شئونهم الأسرية ومنها الطلاق والخلع والعدة والنفقة الخ وإن النبي كان يقضى بينهم في ذلك . وفي بعضها كان النبي يتدخل مباشرة في بعض المواقف ويفسر مدى التشريع القرآني فيها وهو في متناول كل من يريد وكثيرة كثرة تجعل المقال طويلا جدا لو أردنا إيرادها . حيث يكون في ذلك أيضا ملهات بان القضاء الإسلامي مرجع شرعي صحيح لهذه الأمور . وقد يقال إنهم كانوا يراجعونه لأنه نبي مشرع يوحى إليه وهذا حق . ولكنه كان يتلقى مراجعتهم ويقضى بينهم كقاض وكصاحب السلطان أيضا على ما تفيد أحاديث كثيرة . وهناك حديث صريح الدلالة على هذا . فقد روى الخصمة عن أم سلمة (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنما أنا بشر وأنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار) (٨) .

هذا . وقد يلحظ أني أدركت الكلام
على سوء استعمال المسلم لولايته على
نفسه في الطلاق والتعدد . وقد يقول
قائل أنه قد يكون سائغا أن ينظر
القضاء في الأمر في حالة الشكوى
والمراجعة وأن التوجيهات القرآنية
هي في صدد ذلك في حين أن النقد
الوجه من الناقدين لأنظمة ذلك
للقضاء هو بسبب الدعوة إلى جعل
هذه الأنظمة عامة شاملة وسواء
أكانت شكوى وخوف شقاق وأساة
أم لم تكن حيث يكون الطلاق والتعدد

التمتع الذي يكون الجور وعدم العدل مؤكدا والذي لا تكون الضرورة البشرية والصحية فيه قاضية . ويمضي ما لا يكون فيه ذلك . ورأى هذا ليس جديدا ولعل من أوائل الداعين اليه فقد شرحت في كتابي (الدستور القرآني في شئون الحياة) المطبوع في مصر سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ (٩) ، ثم أعدت إرادته مسع زيادة في الشرح في الطبعة الثانية لهذا الكتاب المعنون (الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة) المطبوع في مصر ١٣٨٦ - ١٩٦٩ (١٠) وقد أوردت المهمات القرآنية والنبوية وردت على ما يورد على هذا الرأي من اعتراضات . ولولا خوف التطويل وقد طال المقال حقا لأوردت ذلك .
والحمد لله رب العالمين .

مرجعه وسنده . بل واعتقد أن في القرآن والسنة ما يلهم ذلك . واعتقد أن هذا الجمل هو تنظيم إسلامي وليس كما يوصف فصلا للدين عن الدولة . ولا تعطيلاً للشرعية الإسلامية ولا إيفالا في العلمانية والاستغراب . وأنه لن الممكن الاحتياط بحيث يدع القاضي ولاية المسلم على نفسه نافذة يباشرها بحريته إذا ما تحقق له في الحالة التي ترفع اليه أنه ليس فيها سوء استعمال وظلم وضرر ويتدخل فقط في الحالة التي يتحقق له فيها ذلك فيحد من الولاية ويمنع الظلم والجور والضرر استنادا إلى حقه وواجبه في منع الظلم والأذى والضرر وتأييد المبادئ القرآنية في بذل الجهد في الإصلاح والامساك بالمعروف في حالة جنوح المسلم إلى الطلاق ويمضيه إذا تعذر التوفيق والإصلاح ثم في منع

- زوجته جنسيا .
(٦) الظاهر أن يقول الزوج لزوجته أنت على محرمة كظهر أمي .
(٧) انظر الجزء الثاني من الناج ص ١٧٦ إلى آخره والجزء الثالث ص ٢ - ٦٥ .
(٨) هذا الحديث في الجزء الثالث ص ٦١ .
(٩) الدستور القرآني في شئون الحياة ص ١٧٠ - ١٨١ .
(١٠) الجزء الأول من الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة ص ٢٧١ - ٢٩٨ والجزء الثاني ص ٩٠ ويعدا .

- (١) لا تعملوا في آية النساء (٢) بمعنى لا تملوا عن الحق ولا تجروا .
(٢) لا تعملون في آية النساء ١٨ وفي آية البقرة (٢٢٢) بمعنى لا تمسكوا بهن بقصد الابتزاز وعدم المسودة إلى أزواجهن .
(٣) حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم - رواه أبو داود والحاكم وصححه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم - الناج ج ٢ ص ٢٠٨ .
(٤) الناج ج ٢ ص ٢٩٩ .
(٥) الإبلاء يبين محلها الزوج بأن لا يعاشر



اللواء الركن : محمود شيت خطاب

- ١ -

وساق سلوك الثانى صاحبه السى
الموت شفقاً والى كره الناس له
وسخط الله عليه .

رحلا من هذه الدنيا كل بأجله
الموعد ، ولكن سكان الموصل لا
يفكرون الا بالرحمات والعبرات
ولا يفكرون الثانى الا باللعنات
والمسببات .

وكان رحيل الجارين حين رحلا ،
يوماً مشهوداً يفكره الموصليون حتى
اليوم ، كان رحيلهما تاريخ من
التاريخ .

كانا جارين ليس بين داريهما
غير حائط قصير يسهل اجتيازه على
الشاب والرجل ، ولكنهما كانا
متناقضين فى الطباع والخلق
والسيرة . اما الاول فكان يمثل النور
بما فيه من صفاء وبهجة وخير ، واما
الثانى فكان يمثل الظلام بما فيه من
عتمة وانقباض وشر .

وساق سلوك الاول صاحبه السى
حب الناس وتقديرهم ورضا الله ،

ولكن مروءة الناس حينذاك ، لم تكن كمروءتهم اليوم ، فقد حدث أن الحاج خطاب كان يطوى هو وأهله في بيته ، وهو في عزلته يتجرع الفصص ، ولكنه كان دائماً على شكر الله . حدث أن طرق عليه باب ، فإذا برجل من أصدقائه يقول له : خذ ! وتلمس الحاج خطاب ما أخذه ، فإذا هو صرة كبيرة من الليرات الذهبية العثمانية ، فبادر إلى طرح الصرة أرضاً ، ثم هرول إلى القمام الذي دفع إليه المال ليلاً ، ليعرف هويته ويشكر صنيعه فكان الحاج خطاب يخب ليحق بالرجل ، وكان الرجل يخب حتى لا يعرف أحد هويته ، وأخيراً لحق الحاج خطاب بصاحبه ، فإذا هو رجل من عائلة آل الجومرد عليه رحمة الله .

وعاد الحاج خطاب إلى داره ، وحمل الصرة وأوى إلى غرفته ، وحين استقر به المقام ، وفتح الصرة وجد فيها خمسة آلاف ليرة ذهبية عثمانية .

والذين كانوا يملكون خمس ليرات يومذاك ، كانوا يعدون من الأغنياء !! ومضى الحاج خطاب إلى السوق بهذا المال يشتري الأغنام والابقار ، ورحل بها إلى سورية ، فريح ربحاً وفيراً .

وعاد من سورية بالأتشمة والصابون ، فريح ربحاً وفيراً . وعاهد الله أن يشكر نعمته بتوزيع الأموال على الفقراء والمحتاجين واليتامى ، فبلغ في ذلك شأواً بعيداً قارب به ما كان يبلغه السلف الصالح من المتفنين أموالهم في سبيل الله .

— ٣ —

وكان عبود شاباً متزوجاً بامرأة سوء ، شجعته على السرقة ، وحثته على طلب المال الحرام .

أما رحيل الأول ، فقد كان يسوم حزن بالغ والم شديد ، تيممه المشيمون بالعبررات والزفرات ، واجتمع في جنازته القاضي والداني ، وأعلن الحداد غير الرسمي على وفاته ولا يزال ذكره الحسن يعطر المجالس . أما رحيل الثاني ، فقد كان يسوم فرح بالغ وانتشراح عيم ، حضر الناس جميعاً موعد شفق ، فأخرج روحه على أصوات الزغاريد والتهليل ولا يزال ذكره السيء على كل لسان . ولم يقض وحده شفقاً حتى الموت بل أخذ زوجته معه أيضاً ، اذ شاركته مصيره المفجع شفقاً حتى الموت . كان اسم الأول الحاج خطاب أحمد ، وكان اسم الثاني عبود .

— ٢ —

تقلب الحاج خطاب بين النعمة وشظف العيش ، وبين اليسر والعسر ، ولكنه صبر على العسر وشكر على اليسر .

كان تاجراً ينقل الأغنام والابقار من الموصل إلى حلب ، وقد تمتد مسيرته إلى الاسكندرونة والاسكندرية ، وحين يبيع أغنامه وابقاره يشتري بالمال أتشمة وصابوناً وينقلها من أرض الشام أو مصر إلى العراق .

وصادف مرة في رحلته من الموصل إلى حلب ، أن أصيبت ماشيته بوباء من تلك الأمراض المعدية التي تصيب الماشية كالوباء ، فعاد من رحلته لا يملك قوت يومه .

وصادف مرة في طريق عودته من أرض الشام إلى العراق ، أن هاجمه قطاع الطرق ونهبوا أمواله وبضاعته ، فعاد أترابه وهو لا يملك شروى نقير .

سرق أول امره ببيض دجاج الجيران ، ثم سرق دجاجاتهم .

وتطورت سرقتهم من البيض والدجاج الى الاثاث والمتاع ، ثم الى سرقة خزائن المال .

وكان يعتمد على نفسه في اول امره ، ثم اصبح رئيسا لعصابة من اللصوص ، تقطع الطرق ، وتمتدئ على الامنين ، وتهاجم البيوت في الليل .

وفي يوم من الايام ، خطط للسطو على دار جاره الحاج خطاب ، وكان الامر ميسورا بالنسبة له ولعصابته ، اذ لم يكن بين دار الحاج خطاب وداره غير حائط قصير ، يجتازه هو وعصابته بسهولة حين يريدون .

وكان الحاج خطاب قد عاد من سورية بتجارته الرابعة ، وكانت اخبار ارباعه الكبيرة حديث الناس جميعا ، فقال عيود لرجاله : لا بد ان يبادر الى اخذ اموال الحاج خطاب قبل ان يبددها على الفقراء .

- ٤ -

كان يوما من ايام الشتاء القارص وكان القمر في المحاق ، فلما انتصف الليل ، اجتاز عيود وعصابته الحائط بين داره ودار الحاج خطاب ، فطخوا في سطح المنزل ، واخذوا يترقبون الفرصة الساتحة للنزول من السطح الى داخل الدار .

وانتظر عيود خروج الذاكرين ، ولكنهم لم يخرجوا حتى اذن المؤذن بالذاكرين الله ، وهم يرددون كلمات الذكر بخشوع .

وانتظر عيود خروج الذاكرين ، ولكنهم لم يخرجوا حتى اذن المؤذن لصلاة الفجر .

وعاد عيود ورجاله من حيث اتوا ، وازمعو ان يعودوا الكرة في اليوم التالي .

وعادوا مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة وسابعة ، وهم يجدون مجلس الذكر حافلا ، وكان عدد الذاكرين يزداد كل يوم .

واخيرا قررت العصابة الا تعود الى دار الحاج خطاب ، لان مجلس الذكر يمنهم من تحقيق مآربهم .

وبعد شهر حل موسم الربيع ، وجاء مع الربيع الخير والبركة .

وقدم رعاة اغنام الحاج خطاب بالسمن واللبن ، فوزع شطرا منه على الجيران ، وكان لعبود من هذا الخير نصيب .

وجاء عيود شاكرا للحاج خطاب هديته ، وفي اثناء الحديث ، قال عيود : يا حاج خطاب ! اتمتع في بيتك كل يوم مجلسا للذكر ؟

وقال الحاج خطاب : لم اعد في بيتي مجلسا للذكر منذ سنين .

وقال عيود : ولكنني رايت بعيني هذه المجالس تعقد كل يوم .

وقال الحاج خطاب : سبحان الله ! هل رايت تلك المجالس بعينك ؟

وقال عيود : الان حصص الحق .. ثم حدثه بمحاولته سرقة داره ، وما رآه بعينه .

وقال الحاج خطاب : الحمد لله .. (ان الله يدافع عن الذين آمنوا)

الله لا يحب كل خوان كفور) .

ومضى عيود على وجهه كمن اصابته لومة يرد : انا رايت مجالس الذكر بعيني ؟ كيف !! وقال لاصحابه : لقد راينا مجالس الذكر ، والحاج خطاب

تقى بكم تقواه .

واجتاحت البلاد العربية موجة الغلاء الفاحش في السنوات الاخيرة

من سنى الحرب العالمية الاولى
(١٩١٤ - ١٩١٨) .

واصبحت الحنطة بفقيرة ،
واصبح سعر الوزنة (ما يسوى ١٣
كيلوغراما تقريبا) بثلاث ليرات
ذهبية .

وجاع عبود وجاعت زوجته ، فقد
بدد المال الحرام الذى ربحه من
السراقات والميسر والخمر وما يتبع
الميسر والخمر .

وشجعت زوجته على خطف
الاطفال وذبحهم ، نخطف العديد منهم
وذبحهم واكل لحبهم .

وكشف امره بعد حين ، فحوكم
وحكم عليه وعلى زوجته بالشنق حتى
الموت .

واذاعت الحكومة القائمة حينذاك
نص الحكم على عبود وزوجته وموعد
تنفيذه ومكان التنفيذ .

وجاء الناس من كل فج مبيق ،
ليشهدوا موت المجرم السفاح ، وهم
فى فرح غامر وسرور عظيم .

وقيل لعبود قبل تنفيذ حكم الاعدام
عليه : ما هى آخر رغباتك فى الحياة
لنحققها لك ؟

قال : ان اقبل لسان زوجتى .

وامام مشهد من الناس اخرجت
زوجته لسانها ليقبله عبود ، فآخذ
اللسان بفيه وقضه بأسنانه حتى
تطعمه بين صراخ الزوجة وضخب
الجماهير .

وقال عبود : قطعت لسانها قبل
موتى وموتها ، لانه سبب نكبتى ، لقد
حشنتنى على الجرائم الصغيرة ،
وشجعتنى على الجرائم الكبيرة ، حتى
اصبحت مجرما خطيرا .

واذا كانت حياتى كلها شرا ، فان
تطع لسان زوجتى على مشهد من
الناس فيه عبرة ، لعل فيها بعض
الخير .

وبعد لحظات كان عبود وزوجته
فى عداد الاموات ، وكانا يترجحان
على حبال المشنقة عبرة لن يعتبر .

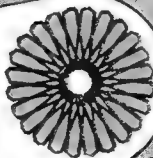
الاجرام

دوراندیش

ط ٢٠٠٠

المقابلة

مجلد ١



للدكتور احمد على المجدوب

والترويج لها فيما ينشر من كتب عن الجريمة في بلادنا ينطوي على خطورة كبيرة ، فضلاً عما فيه من خطأ منهجي واضح ، لان التشابه الظاهري بين المشاكل لا يعنى وجود تشابه مماثل بين الاسباب التي ادت اليها او العوامل التي ترتبت عليها ، وبالتالي تشابه وسائل مواجهتها واساليب علاجها ، مثال ذلك ظاهرة العلاقات الجنسية المثلية او الشذوذ الجنسي نهى موجودة في دولة متقدمة جداً كبريطانيا حيث تسود قيم واتباط من العلاقات تختلف كل الاختلاف عما هو سائد في بعض الدول حيث توجد نفس الظاهرة ، وبالتالي فانه لا يمكن القول بان الاسباب في كلتا الحالتين واحدة وان العلاج واحد كذلك .

بالرغم من أن النتائج المتماثلة للبحوث العديدة التي أجريت في الخارج سواء على الظاهرة الاجرامية بصفة عامة ، أو على نوع معين من الجرائم، تقول إنه ليست هناك علاقة بالمرة بين الجريمة والدين باعتباره عاملاً مانعاً ، أو على الأقل مخففاً من شدة الميل الى الجريمة ، وهو ما حرص كل العلماء والباحثين في مجال الجريمة على ابرازه والتركيز عليه ، الى الحد الذي جعلهم يستبعدون الدين من بين العوامل التي يمكن الاستعانة بها لمواجهة الظاهرة الاجرامية ، وتجريده من تلك الاهمية التي اضعفوها على غيره من الوسائل والاساليب التي اقترحوها ، سواء للوقاية أو للعلاج من الاجرام ، فان قبول هذه الفتاوح على علقتها

وتفسيرهم للدين كمال متسع ، أو على الأقل واق من الاجرام ، فقد اكتفوا ، في البحوث التي أجروها ، بالتفسيرات التي وصل اليها بعض الباحثين الغربيين ، كما استخدموا نفس أساليبهم في التحليل والوصف ، ذن أن يراعوا أبسط المبادئ العلمية ، فضلا عن الفروق الجوهرية بين الظروف الاجتماعية المختلفة والتركيب الاجتماعي في البلاد الإسلامية وغيرها ، فسارعوا إلى القول ، مقلدين زملاءهم الغربيين ، بأنه لم يتبين وجود علاقة من نوع ما بين الدين والجريمة ، فهو لا يلعب أي دور في المنع من الجريمة أو الوقاية منها ، وأيدوا رأيهم هذا بما ورد في كتب العلماء الغربيين من نتائج في هذا الصدد ، ناسين أو متناسين أن الدين الذي عناه هؤلاء العلماء ليس هو نفس الدين الذي تدور حوله بحوثهم .

فالملاحظ أن الباحثين المسرب والمسلمين ينقسمون آزاء الدين إلى فريقين أحدهما ينسى في ترديده آراء علماء الغرب في الدين الاختلافات الأساسية بين الإسلام وغيره في غمرة انبهاره بهذه الآراء من ناحية ، ولجله التام أو المحدود بالشريعة الإسلامية من ناحية أخرى ، مما يجعله عاجزا عن أدراك ما بينها وبين غيرها من اختلافات رئيسية وفروق أساسية .

في حين أن الفريق الثاني يتناسى عن عمد الاختلافات التي بين الدين الإسلامي وغيره من الأديان ، ويصر على تعميم الأحكام التي وصل إليها علماء الغرب والشرق على السواء بشأن الدين ويمسدها إلى الدين الإسلامي بالرغم من أن هذا التعميم

والملاحظ على ما ينشر من تقارير عن البحوث التي أجريت في البلاد الإسلامية عن الظواهر والمشكلات الاجتماعية أن الباحثين يمتدحون في تفسيرهم للبيانات الإحصائية ولحصيلة ملاحظاتهم الميدانية على ما سبق أن نشر من تقارير عن بحوث مماثلة أو حتى مشابهة أجريت في الخارج ، فضلا عن أثر الخلفية الفكرية لكل منهم ، وهي في الغالب خلفية غربية ، وأحيانا خلفية شرقية وذلك لاستخلاص دلالات والوصول إلى استنتاجات لا يراعون في استخلاصها والوصول إليها ، لا الفسوق الثانوية فحسب بل ولا الفروق الأساسية أيضا بين الواقع الاجتماعي في البلاد الإسلامية والواقع الاجتماعي في الدول الغربية ولذلك تأتي تحليلاتهم غير صحيحة رغم مظهرها المنطقي .

ولو أنهم وضعوا حدا للثقة المبالغ فيها فيما يقرأونه من كتب الغرب وبحوثه ، والتي لا يفرقون فيها بين الفث والثمين من الأعمال والدراسات لوصلوا إلى نتائج أفضل بكثير مما يصلون إليه عادة ، نظرا لأن الشك ، وهو أمر له مبرراته العديدة في مجال العلم ، سيجعلهم أكثر إصرارا على معرفة الحقيقة ، وأشد رغبة في استجلاء الأمر ، فلا يكتفون بالتحليلات السريعة والتفسيرات المتعجلة استنادا إلى الاعتقاد الخاطيء بأن - التشابه بين المشكلات يعني التشابه بين العوامل والأسباب وأيضا بين وسائل العلاج وأساليب المواجهة .

وهذا الحكم ينطبق إلى حد كبير على تحليلات الباحثين المسلمين للعلاقة بين الدين والجريمة ،

يتعارض بشكل صارخ مع المبادئ العلمية الأساسية . ولكنه التقليد الأعمى للغرب ، والمحكمة البلهاء لكل ما يصدر عنه ، الصادرين عن الجهل حيناً وعن الانتهازية والنفاق والوصولية غالباً .

لذلك يكتفى الباحثون لدينا بالبيانات البسيطة عن الظاهرة دون أن يتبعوها في علاقتها بغيرها من العوامل والظواهر الأخرى ، فلا يستخدموا ما يسمى بالجدول المركبة وإذا استخدموها فبالنسبة للعلاقة بين الجريمة والدين فقط دون العلاقة الأوسع التي تشمل الجنس والسن والتعليم وغيرها مما يتفاعل بشكل ملحوظ مع الدين ، وهو قصور معيب ينبغي تداركه والمعدول عنه ، فالمعروف أن فهم الدين واستيعاب أحكامه والالتزام بعبائنه وقيمته يختلف باختلاف الجنس والسن والتعليم ، مما يستوجب وضع جداول ارتباط تشمل هذه الأمور جميعاً حتى يمكن الوصول إلى تحديد للعلاقة بين الدين والجريمة ، فضلاً عن ملاحظة الفروق بين الدين الإسلامي وغيره ، وأهمها بلا جدال أن الإسلام ليس مجرد مبادئ أخلاقية وتعاليم دينية وعبادات فحسب ، بل هو شريعة كاملة تتناول كافة صور العلاقات الإنسانية والاجتماعية سواء بين الأفراد وبعضهم بعضاً أو بينهم وبين الجماعة فضلاً عن اهتمام الإسلام بالإنسان أولاً وقبل أى شيء آخر فمضى إلى أن يوفر له إنسانيته ويضمن له كينونته إزاء الجماعة ، فجعل اهتمامه موجهاً في المكان الأول إلى جعله اجتماعياً يعرف ماله وما عليه وذلك بتنمية الإحساس بالمسؤولية لديه نحو الجماعة وتجريده بقدر الإمكان من إنسانيته وجبه لذاته وإحلال الإحساس الغيرية لديه والرغبة في التضحية

وانكار الذات دون قهر أو اكراه ، وإنما بالافتناع والفهم والرقبة الصادقة . وقد سبق جهد الإسلام في هذا المجال جهده في مجال العقاب ، فهو يربى الفرد ويجعله إنساناً ثم بعد ذلك يفرض عقوبات رادعة على من يخرج على ما وضعه من ضوابط وما فرضه من حدود قصد بها حماية الجماعة وتوفير الأمن والطمانينة لأفرادها حتى لا تستحيل الحياة إلى غابة يسودها منطق القوة الغاشمة ويستشري فيها الفساد والانحلال والظلم والبغى .

لذلك فإن الإسلام عكس غيره من الأديان لم يتضمن تحديداً للجرائم فحسب ، بل تضمن أيضاً المبادئ الأساسية في إجراءات التحرى والتحقيق والمحكمة ، مما يمكن معه القول أن مد الحكم الذي أصدره علماء الغرب على الدين إلى الدين الإسلامي يعد عملاً تمسحياً يفتقر إلى التبصر والحكمة ، بل يمكن القول بأنه لا يصدر عن اعتبارات علمية بالرة .

والملاحظ أن دراسة العلاقة بين الدين والجريمة في المجتمعات الإسلامية أسهل من دراستها في غيره من المجتمعات ، لا لشيء إلا لوضوح التأثيرات التي يزاولها الدين الإسلامي في المجتمعات التي تدين بالاسلام ، إما بصفة عامة وفي كافة الظروف ، كما في المجتمعات التي تنطبق الشريعة الإسلامية وأحكامها ، أو بصفة خاصة وفي ظروف معينة ، كما في المناسبات التي تسود فيها روح الاسلام مثل شهر رمضان . وهناك تأثيران أساسيان واضعان يزاولهما الاسلام ، وتبدو وعلاقته فيهما بالجريمة أوضح ما تكون سواء في الجانب السلبي أو في جانبها الإيجابي .

أكثر التصنيفات العلمية شيوعاً حتى يسهل إجراء المقارنة بين هذه البيانات ومثيلتها في دولة أو عدة دول لا تطبق الشريعة الإسلامية رغم أنها دول يدين أغلب رعاياها بالإسلام ، فالعامل المتغير الوحيد بين الدول التي تجري المقارنة بينها هو تطبيق الشريعة الإسلامية ، بينما تثبتت العوامل الأخرى . وذلك لمعرفة أثر هذا العامل في المشكلة وهل هو سلبي أم إيجابي .

كذلك يمكن بواسطة نسبة إجمالي الجرائم التي ارتكبت إلى إجمالي عدد السكان ، معرفة ما يسمى بالمعدل وهو نسبة مرتكبي الجرائم إلى كل مائة ألف من السكان .

أما الطريقة الثانية ويستخدم فيها المنهج الإحصائي أيضاً ، فيقصد بها التحقق من صحة الفرض نفسه بإدخال العامل المتغير أي الدين ، خلال فترة معينة من السنة مع تثبيت العوامل الأخرى وهذه الدراسة تجري على نفس المجتمع ولكن خلال فترتين زمنيتين مختلفتين أحدهما يظهر فيها أثر الدين ، مثال ذلك شهر رمضان ، والثانية لا يظهر فيها هذا الأثر كبقية شهور السنة ثم يتم حصر الجرائم التي وقعت في الفترتين وإجراء المقارنة بينها لمعرفة اتجاهها خلال الفترة التي كانت المشاعر الدينية فيها لدى الناس في حالة نشاط وهل كان هذا الاتجاه نحو الارتفاع أم نحو الانخفاض أم أنه لم يختلف عن الاتجاه العام طول العام .

كذلك يمكن تحديد معدل الجريمة خلال شهر رمضان ومقارنته بالمعدل في الشهور الأخرى لمعرفة ما إذا كان قد طرأ عليه تغيير من نوع ما أم لا . ولقد حاولت إجراء مثل هذه الدراسة وخاصة ما يتعلق منها

ومصدر التأثير الأول ، الإسلام كدين يدعو إلى الفضائل وينفر من الرذائل ، ويحض على فعل الخير وينذر الشر ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويربط الإنسان بهذه القيم ربطاً دائماً بما يمارسه عليه من تأثير يستمر خلال اليوم فضلاً عن العام ، ويتمثل في الصلوات الخمس ثم الزكاة والصوم والحج ، وقراءة القرآن وسماعه وهي لا تكاد تنقطع طول اليوم بما تتضمنه من تذكير دائم بمبادئ الدين وأحكامه وضوابطه وأوامره ونواهيه وهو أمر لا يشبه فيه مجتمع آخر المجتمع الإسلامي ، مما يجعل من السهل قياس ورصد أثر الدين في سلوك الأفراد وعلاقاتهم وبالتالي تحديد العلاقة بين الدين والجريمة . أما مصدر التأثير الثاني فهو العقوبات الرادعة التي قررتها الشريعة الإسلامية لمن يخرج على أحكامها ولا يراعى ضوابطها ومبادئها وهو خروج يتم عن فساد جدير بالواجهة الحازمة وانحراف تمين بالردع لما يؤدي إليه من أضرار تصيب الجماعة والأفراد وما ينفو على من أخطار تهدد أمنها وتقال من سلامتها وتتهدد العلاقات المستقرة بين أفرادها .

ويمكن استخدام المنهج الإحصائي في دراسة العلاقة بين الدين الإسلامي والظاهرة الإجرامية في المجتمعات الإسلامية بهدف التحقق من صحة الفرض القائل بأن للدين أثراً سامعاً من الانحراف والإجرام ، وذلك بطريقتين : الأولى يتم فيها إجراء حصر شامل لكل ما وقع من جرائم في دولة تطبق الشريعة الإسلامية لمدة خمس سنوات على الأقل ، ثم تفرغ البيانات الرقمية في جداول بحسب تصنيف للجرائم يتم وضعه على غرار

المعروف بين السنين الشمسية والسنين القمرية والذي يترتب عليه عدم التطابق بين الشهور الهجرية والشهور الميلادية والسريانية مما يجعل المقابلة بين الشهور صعبا ولكنه ليس مستحيلا طالما أنه يمكن تحديد ما يقابل شهر رمضان من الشهور الميلادية أو السريانية في كل عام . وربما يأخذنا الحساس فنتسارع الى اصدار حكم تعسفي بأن الدين الاسلامي له تأثير مانع من الجريمة يبدو بوضوح فيها نلاحظه من اختلاف شديد بين معدلات الجريمة في الدول الاسلامية والدول الاوروبية مثلا حيث ترد الينا الانباء كل يوم بالمزيد والجديد بل والغريب من الجرائم كالقتل الجعاعي والشذوذ الجنسي والسطو والاغتصاب وجرائم العنف بصفة عامة ، مما جعل الجرائم تزيد في كل عام بنسبة ١٠٪ عما كانت عليه في العام السابق ولكن مثل هذا الحساس ضار اكثر مما هو نافع نظرا لما هو معروف من وجود مؤثرات أخرى غير الدين يمكن أن تخفف بعدد الجريمة كالتظلم مثلا ، فالمعروف أن الجريمة تتجه اتجاها طرديا مع التحضر ، بمعنى أنه كلما زاد التحضر زادت الجريمة ومن ثم فإن انخفاض نسبة الجرائم أو ضعف معدلها لا يعني أن الدين هو السبب . كذلك قد تتدخل عوامل جانبية تؤدي الى خفض معدلات الجريمة خفضا ظاهريا فقط مثال ذلك ضعف الشرطة وهبوط مستوى رجال الأمن الذي يؤدي الى عدم الكشف عن الجرائم وضبط مرتكبيها فتظهر الاحصاءات غير متفهمة كل ما وقع من الجرائم وتتدخل نسبة كبيرة من الجرائم في دائرة الظل أو ما يسمى بالارقام السوداء أو المظلمة

بالمقارنة بين البيانات الاحصائية الخاصة بالجرائم التي ارتكبت في بلدين اسلاميين أحدهما يطبق الشريعة الاسلامية والاخر لا يطبقها ولكن للأسف الشديد اعترضت المحاولة عدة عقبات ، يمكن التغلب عليها اذا رغب المسئولون في الدول الاسلامية وخاصة التي تطبق الشريعة الاسلامية في تقديم التسهيلات اللازمة لاجراء هذه الدراسة وتذليل الصعوبات التي تحول دون المضي فيها . واهمها جميعا تقديم البيانات الاحصائية الخاصة بالجرائم التي ارتكبت فيها خلال فترة زمنية معينة أو تكيين المسئولين عن الدراسة من اجراء حصر لما يقع من جرائم . ومما لا شك فيه أن وجود ادارة احصائية تختص بتسجيل ما يقع من جرائم اصبح من المرافق الاساسية في وزارات الداخلية والعدل وغيرها مما يتصل نشاطه بالظاهرة الاجرامية ، فضلا عن المؤسسات العقابية التي تستعين بالاجهزة الاحصائية والبيانات الاحصائية في العديد من العمليات كالترديد العقابي والتصنيف وغيرها . الا أنه لوحظ أن الكثير من الدول الاسلامية قد استجلبت أحدث الاجهزة في شتى المجالات ونسيت أن تستجلب الاجهزة الاحصائية رغم فوائدها العديدة ، وهناك بعض الدول التي استجلبت هذه الاجهزة ولكنها لم تستخدمها الاستخدام المفيد والنافع واكتفت بالنشر عنها في الصحف والمجلات في المناسبات التي ينشط فيها الحديث عن المعصية والتقدم والاخذ بالاساليب العلمية . وهناك بعض الصعوبات الناشئة عن اختلاف الظروف السائدة في الدول الاسلامية واهمها الاختلاف

وهي مشكلة تعاني منها كل الدول بصور متفاوتة في خطورتها مما جعل المختصين يعمدون المؤتمرات وينظمون الندوات من أجل دراستها والتعرف على أسبابها والعوامل الكامنة وراءها .

لم يبق أذن متاحا سوى اللجوء الى الطريقة الثانية وهي الدراسة الاحصائية للبيانات الرقمية للجرائم التي ارتكبت في فترتين مختلفتين من حيث ظهور أثر الدين في احدهما وعدم ظهوره في الاخرى وبمعنى اصح اجراء مقارنة بين الجرائم التي ارتكبت في شهر رمضان والجرائم التي ارتكبت في غيره من الشهور على مدار السنة وذلك خلال عدد من السنين حتى تتمكن من متابعة اثر العامل المتغير وهو الدين خلال فترة طويلة نسبيا واستبعاد اثر اى عامل من العوامل غير المتوقعة التي قد تطرا في عام دون آخر ، كالحرب مثلا حيث تبين حدوث انخفاض كبير وواضح في نسبة الجرائم التي ارتكبت في شهر رمضان ١٣٩٣ أثناء حرب أكتوبر سنة ١٩٧٤ مقارنة مع ما سبق ارتكابه من جرائم في شهر رمضان من الاعوام السابقة ، مما يدل على أن الحرب كان لها تأثير لا شك فيه في هذا الانخفاض غير العادي ، بعكس ما هو معروف عن اثر الحروب في ارتفاع معدلات الجريمة في دول العالم ، مما يمكن رده مرة اخرى الى الدين الذي تفاعل تأثيره المكثف خلال شهر رمضان مع تأثير الحرب التي بعثت في ذاكرة المسلمين ذكريات تلك الحروب المقدسة التي خاضوها دفاعا عن دينهم ومقديتهم وذودا عن كرامة الانسان المهذرة في كل مكان وشرفه المهان اينما كان .

وقد أجريت الدراسة على الخمس سنوات الواقعة بين سنتي ١٩٦٨ و ١٩٧٢ الموافقتين لسنتي ١٣٨٨ و ١٣٩٢ هجرية وبطبيعة الحال ، فإنه نظرا لاستخدام مصر للتقويم الميلادي فان الاحصاءات الجنائية تصدر بحسب الشهور الميلادية التي لا تتطابق حتما مع الشهور الهجرية ، مما يجعل شهر رمضان يقابل ثلاثين يوما يقع بعضها في شهر ميلادي وبعضها الآخر في شهر آخر ، مثال ذلك شهر رمضان ١٣٨٩ هجرية فثلثاه يقع في شهر نوفمبر والثلث الأخير يقع في شهر ديسمبر سنة ١٩٦٩ مما يسبب صعوبة عند محاولة تحديد عدد الجرائم التي ارتكبت في شهر رمضان فهي تستخلص مما ورد بالتقارير الاحصائية منسوبا الى الشهور الميلادية ، وفي هذا المثال الذي ذكرناه حالا فان تحديد الجرائم التي ارتكبت في شهر رمضان سنة ١٣٨٩ يتم بضم ثلثي الجرائم التي ارتكبت في نوفمبر الى ثلث الجرائم التي ارتكبت في ديسمبر بكل ما ينطوي عليه ذلك من مخاطر ناشئة عن أن الجرائم ليست عملا منتظما وثابتا يقع على مدار ايام الشهر بنسبة ثابتة ومتساوية بحيث يتساوى ما يقع في كل اسبوع من اسابيع الشهر مع ما يقع في غيره ، وانما تتدخل عوامل واعتبارات عديدة تجعل ذلك التساوي متقدرا ان لم يكن مستحيلا مما يجعلنا ننصح في حالة اجراء دراسة واسعة ان يتم حصر الجرائم بحسب الشهور الهجرية وليس الميلادية تلاصيا للصعوبة المشار اليها وهي تتعلق باجمالي الجرائم ، وهناك صعوبة اخرى تتعلق بتصنيف الجرائم فهناك أنواع من الجرائم ينخفض عدد ما يقع منها في شهر رمضان بينما

الجنسية بصفة عامة والمروعة والقتل والقذف والسب .

أما الجرائم التي لا تنخفض نسبتها وكذلك التي تزيد ثقلها من وجهة نظر عامة الناس لا تتعارض بشكل مباشر مع الدين ولا مع الصيام وخاصة التزيب وتعاطي المخدرات والاتجار فيها التي يرون أنها ليست محرمة بعكس الخمر التي حرمها الله ومع ذلك يبيحها ولاية الأمر .

أما المشاجرات البسيطة فبالرغم من تعارضها مع الدين الذي نهى عن العدوان بكل درجاته إلا أنها تجد مساوياً يبررها عند الجاهل في حالة الصائم العصبية والضيق الذي ينتابه نتيجة الجوع .

وبصفة عامة فإن أجمالي الجرائم التي ترتكب في شهر رمضان يقل كثيراً عن أجمالي ما يقع منها في غيره من الشهور ، كذلك فإن نسبة ما يقع في شهر رمضان إلى أجمالي ما يقع في العام كله من جرائم يقل بشكل ملحوظ عن نسبة ما يقع في غيره من الشهور مما يدل على أن الدين يلعب دوراً هاماً في المنع من الجريمة والوقاية من الأجرام بعكس ما وصل إليه علماء الغرب بالنسبة لغيره من الأديان حيث بينت لهم بحوثهم أنها لا تلعب مثل هذا الدور .

وهكذا يمكننا أن نستفيد من الدين في مكافحة الجريمة ومنعها باعتباره عاملاً هاماً بل أهم العوامل بلا جدال على شريطة أن يكون توظيفه لهذه الغاية مدروساً بشكل جيد وجاد حتى لا يتقلب الوضع ونسبة الجريمة بدلاً من أن نحسن إلى أنفسنا ، فلا تزال نفوس الناس في البلاد الإسلامية تنطوي على الكثير من الخير والحب والإيمان العميق .

يرتفع عدد ما يقع من أنواع أخرى بحسب ما ينطوي عليه هذا النوع أو ذلك من تعارض مع الصيام بصفة خاصة ومع الدين بصفة عامة ، ومن ثم فإن تحديد نسبة ما وقع من هذه الأنواع في الجزء من الشهر الميلادي المقابل لشهر رمضان يلقي صعوبة واضحة وفضلاً عن ذلك فإن التعرف على أثر الدين في المنع من الجريمة لا يمكن أن يتم باليقين المطلوب نظراً لاستحالة الفصل بين العوامل المختلفة سواء التي تؤدي إلى الأجرام أو التي تمنع منه فهي متداخلة متفاعلة لا تعمل بمعزل عن بعضها بعضاً .

ومع ذلك وبالرغم من هذه المحاذير ومن غيرها مما تضيق عنه هذه الدراسة البسيطة ، فإننا قد مضينا في محاولتنا تقصى أثر الدين في المنع من الأجرام أو الحد منه فنتبين من التحليل الإحصائي للبيانات الخاصة بالجريمة ومع الأخذ بعين الاعتبار العوامل الأخرى التي تلعب دوراً سلبياً أو دوراً إيجابياً أن الدين يلعب دوراً واضحاً بالنسبة لبعض الجرائم كالجرائم الجنسية أو جرائم الآداب ، مثل الاغتصاب وهتك العرض والفعل الفاضح العلني والتحريض على الفسق ، وكذلك جرائم القذف والسب كما تنخفض بنسبة أقل جرائم السرقة والقتل ، في حين لا تنخفض جرائم الضرب والجرح بل قد تزيد وخاصة المشاجرات البسيطة المعدودة من الجروح وجرائم التزيب والحرق العمد وتعاطي المخدرات والاتجار فيها .

والملاحظ أن الجرائم التي تنخفض نسبة ما يقع منها ، تتعارض بشكل واضح مع الدين ، بل أن أغلبها مما يدخل في الحدود المنصوص عليها مباشرة في الشريعة كالزنا والجرائم

النا مائة الفارجه

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنا أنزلناه في ليلة القدر • وما أدراك ما ليلة القدر • ليلة القدر خير من ألف شهر • تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر • سلام هي حتى مطلع الفجر »
(صدق الله العظيم)

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله أتني أن علمت ليلة القدر فبماذا أدعو فيها ، فقال : قلوا : (اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني) .

الصوم في الحر

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى على رأس سرية في البحر فيبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع في ليلة مظلمة إذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة قفوا أخبركم بقضاء قضاء الله على نفسه ؟ فقال أبو موسى : أخبرنا أن كنت مخبرا . قال : ان الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له في يوم حار سقاه الله يوم العطش ، وكان حقا على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة .

خير زاد

خطب أبو ثر عند الكعبة قائلا :
أليس إذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ، فقالوا : نعم ، فقال :
فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون ، فقالوا : لنا على زاده ، فقال : حجوا
حجة لعظام الأمور ، وصلوا ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور ،
وصوموا يوما تسديدا حره لطول يوم التشور .

ضعيف الله

دعا الحجاج اعرابيا لياكل معه ، فقال الاعرابي : دعائي من هو خير منك غلبته ، فقال الحجاج : من هو ؟ قال الاعرابي : ربي دعائي للصوم فصمت . فقال : كل اليوم وصم غدا . فقال الاعرابي : اتضمن لي الحياة لقد ؟ فقال الحجاج : لا . فقال : كيف ابيع حاضرنا بأجل . فقال الحجاج : انه طعام لخبث طيب . فقال : والله ما طيبته انت ولا طيبه طاهيك ، وانما طيبته العاقبة ، فقال الحجاج : صدقت ولكن اليوم شديد الحر ، فقال ، وانا صمت ليوم اشد منه حرا ، فقال الحجاج : ان فطرك اليوم خير ، فقال الاعرابي : (وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون) . فقال الحجاج : هديت يا رجل فانصرف راشدا .

السلف الصالح في رمضان

١ - كان عبد الله بن عمر يصوم ولا يفطر الا مع المساكين ، فاذا لم يجد او منعه اهله عنهم لم يتعشى تلك الليلة .

٢ - جاء سائل الى الإمام أحمد وكان صائما فدفع اليه رقيقين كان قد اعدهما لفطره ، ثم طوى واصبح صائما .

٣ - كان أبو حنيفة يهتم في رمضان بستين ختمة : ختمة بالليل واخرى بالنهار وكان اذا دخل رمضان تفرغ لقراءة القرآن ، فاذا دخل العشر الاواخر فقاما يستطيع احد ان يكلمه .

المصنف

للدكتور محمد عبد الرؤوف

جليلة ، تحتوى على أكثر من واحد وعشرين ألفاً من الأحاديث والآثار والعجيب أنه على الرغم من أن الكتاب ثروة فقهية وتاريخية رائعة وأنه مصدر حديثي رائد مبكر ، وبالرغم من جلال المؤلف الإمام وعلو قدمه ، فإن « المصنف » لم يحظ بنصيب يذكر من العناية والدراسة من جانب الأجيال الماضية إذا قورن بما لقي كتساب « الموطأ » ، وما قدر للجبايع التي دونها بعد من درس على يد صاحب المصنف وحفظ عليه وروى عنه من أمثال الإمام أحمد وصاحبي الصحيحين رضي الله عن الجميع ، بل قد ظلت مخطوطات « المصنف » مدفونة في خزائن الكتب حتى أذن الله تعالى

لا زلنا بصدد الكلام عن المرحلة الثانية من مراحل قيد الحديث وكتابته تلك المرحلة التي سميناهنا « مرحلة المصنف أو التصنيف » ، أي جمع الأحاديث والآثار في كتاب مرتبة على حسب ترتيب أبواب الفقه ، وقد درسنا نموذجين من المصنفات في المقاتلين السابقين من هذه السلسلة وهما « مجموع الإمام زيد » و « موطأ الإمام مالك » ، وتحدث في هذا المقال عن نموذج ثالث كان من ثمرات هذه المرحلة ، وهو : « المصنف » للإمام عبد الرزاق ، وبه ينتهي الحديث عن مرحلة المصنفات إن شاء الله .
وكتاب « المصنف » الذي نحن بصدد الحديث عنه موسوعة حديثة

للإمام عبد الرزاق الصنعاني

ولقد سبق أن التقينا بالإمام عبد الرزاق صاحب هذا « المصنف » ، وذلك أثناء مناقشتنا اسناد « صحيفة همام بن منبه » ، فقد رواها عبد الرزاق عن شيخه « معمر بن راشد » عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، واسم مؤلفنا كاملا هو : عبد الرزاق بن همام ابن نافع الحميدي الصنعاني ، ولد باليمن عام ١٢٦ هـ وتوفي في شوال عام ٢١١ باليمن عن خمسة وثمانين عاما (١) ، وقد كف بصره قبل وفاته ،

بيعت الكتاب في السنوات الأخيرة على يد المجلس العلمي الذي نشره عن طريق دار القلم ببيروت في أحد عشر مجلدا كبيرا ، ظهر أولها عام ١٢٩ هـ ، وتم طبع آخرها في شهر رمضان المعظم عام ١٣٩٢ هـ ، وذلك بتحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمي الذي أبلى بلاء حسنا وبذل جهدا مشكورا في تحرير الكتاب وضبطه وتخريج أحاديثه والتعليق عليها وترتيبها ، جزى الله الجميع خيرا الجزاء .

(١) « وفيات الأعيان لأبن خلكان » بتحقيق الأزهري محمد محيي الدين عبد الحميد ، الجزء الثاني ص ٣٧١ ، و « هدى المارفين » لاسماعيل باشا البغدادي (١٩٥١) الجزء الأول ص ٥٦٦ .

نظرات في الحكاية

وتسميته « الصنعاني » نسبة إلى صنعاء بقلب الهمزة نونا على غير قياس كما نسبوا إلى بهراء ، فقالوا بهرائي .

وكان الإمام عبد الرزاق من ذوي الورع والتقوى ، ومن حكمه قوله : « من يصحب الزمان يرى الهوان » ، وقد سمع وهو ينشد :

فذاك زمان لعبنا به

وهذا زمان بنا يلعب (٢)

ومن مؤلفات الإمام عدا كتاب « المصنف » : « تزكية الأرواح عن مواقع الفلاح » و « تفسير القرآن » و « السنة في الفقه » و « كتاب المغازي » (٣) .

بدأ عبد الرزاق يدرس الحديث ويحفظه عندما بلغ العشرين من عمره فلزم معمر بن راشد لسبع سنوات وذكر أنه كتب عنه عشرة آلاف من الأحاديث (٤) ، وكان معمر من علماء البصرة ثم رحل عنها إلى اليمن ، وكان من المبكرين في جمع الأحاديث مصنفة مبنوية حتى قيل أن مصنفه « الجامع »

كان أول المصنفات ، ولما رحل عبد الرزاق إلى الشام ثم بلد الله الحرام بقصد التجارة وأداء الفريضة وطلب العلم التقى بعلباء البلاد التي حل بها ودرس على يدهم وحفظ الكثير عنهم من أمثال الأوزاعي والثوري وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الذي كان من الرائدین في كتابة المصنفات واسم مصنفه « كتاب السنن » ، ويقال أيضا إنه أول ما دون من المصنفات المبوبة (٥) ، وبعد أن حفظ عبد الرزاق واستوعب ما قدر له بدأ يروي ويعلم ويجمع ويدون ، وملاّت سمعته الأماق ، فهاجر إلى حلقة درسه طلاب نجوا وبسورك فيهم ونفع الله بهم من أمثال الإمام ابن حنبل ويحيى بن سعيد والبخاري وغيرهم ، حتى قيل في شأنه : « ما رحل الناس إلى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رحلوا إليه (٦) » .

ويبدو أن الإمام عبد الرزاق دون كتابه « المصنف » في النصف الأخير من القرن الثاني للهجرة ، فقد سمعنا أن المؤلف بدأ يدرس الحديث وعمره عشرون سنة ، أي عام ١٤٦ هـ حيث

(٢) وفيات الأعيان .

(٣) هدى العارفين و « تذكرة الحفاظ » الجزء الأول ص ٣٢١ .

(٤) « ميزان الاعتدال » للذهبي ، جزء ٤ ، ص ١٥٤ .

(٥) قيل أن ابن جريج كان أول من صنف الحديث ، وقيل بل كان معمر بن راشد وقيل الربيع ابن صبيح وقيل بل كان سعيد بن عروبة ، والواقع أن هؤلاء المحدثين ومن نسب إليه هذا الشرف من غيرهم كانوا متعاصرين ولا يدري تماما أيهم سبق الآخر ، فقد توفي ابن جريج عام ١٥٠ هـ ، ومعمر عام ١٥٣ هـ والربيع عام ١٦٠ هـ ، وسعيد عام ١٦٧ هـ .

(٦) وفيات الأعيان .

كان قد ولد في ١٢٦ هـ . كما أنه توفي عام ٢١١ هـ بعد فترة عانى فيها من ذهاب البصر واعتلال الذاكرة ، ولقد روى صاحب ميزان الاعتدال (٧) أن الإمام أحمد فضله وقال في شأنه : « أتينا عبد الرزاق قبل المائتين وهو صحيح البصر ، ومن سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع » ، كما يروى قول البخاري عنه : « ما حدث عنه عبد الرزاق من كتاب فهو أصح » ، وعليه فالمصنف دون قبل المائتين وعبد الرزاق قوى البدن سليم البصر .

جمع الإمام عبد الرزاق كتابه ودونه وسماه « المصنف » قلد بعنوانه على أنه مرتب ومبوب على ترتيب أبواب الفقه ، فقد قسمه إلى كتب ، كل كتاب فيها يحتوي على عدد من الأبواب يزيد عددها أو ينقص ، أولها كتاب الطهارة محتوي على ١٣٦ بابا ، وتلاه كتاب الحيض مشتملا على خمسة وعشرين بابا ، ثم كتاب الصلاة الذي يحتوي على نحو ثلاثمائة من الأبواب ، فكتاب الجمعة فكتاب العيدين فكتاب فضائل القرآن فكتاب الجنائز فكتاب الزكاة فكتاب الصيام فكتاب العقبة فكتاب الاعتكاف فكتاب المناسك فكتاب الجهاد فكتاب المغازي فكتاب أهل الكتاب فكتاب النكاح فكتاب الطلاق فكتاب البيوع فكتاب الشهادات فكتاب المكاتب فكتاب

الأيمن والنذور فكتاب الولاء فكتاب الوصايا فكتاب المواهب فكتاب الصدقة فكتاب الخبز فكتاب الأشربة فكتاب العقول فكتاب الفرائض .. وهكذا .

وبينما عني الإمام مالك صاحب « الموطأ » بعد جمعه إياه بتنزيهه وتنزيهه واختصاره ليقصر فيه على ما رجح لديه ، يظهر أن الإمام عبد الرزاق صاحب « المصنف » تركه على حال جمعه الأول ، لذلك قد يحتوى الكتاب على الصحيح والضعيف والسليم والسقيم ، ولكنه مع ذلك موسوعة قيمة جديرة بزيادة الفحص والدراسة لتقييم ما ورد به من حيث الصحة والسلامة ، ومقارنة ما احتوى عليه بها ورد فيها أعقبه من كتب الصحاح والسنن وحصر ما اتفقت معه في روايته ، ومبلغ خلاصه معها ، إلى غير ذلك من نقاط البحث المفيد .

وكتاب « المصنف » رغم حسن ترتيبه وجمال تبويبه فإن مؤلفه يستطرد أحيانا فيدرج في الكتاب أبوابا قد يبدو أنها أجنبية مسمى موضوعها عنه ، كما أنه قد يختلف أحيانا مع الترتيب الزمني ، ثم إن ترتيب الكتب التي قسم إليها الكتاب يختلف قليلا عن الترتيب المألوف في كتب الفقه والحديث الأخرى ، فنجد مثلا يستطرد في كتاب الصلاة فيأتي بباب عن « حسن الصوت » ، ويدرج

(٧) اسناد هذا الحديث هو نفس الاسناد روى به عبد الرزاق صحيفة همام بن منبج ، وقد روى هذا الحديث مسلم في صحيحه والبيهقي في « السنن الكبرى » كلاهما من طريق عبد الرزاق .

نظرات في الحديث

ولقد حاولت عد الأحاديث المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في « المصنف » فوجدتها تبلغ ثلاثة آلاف ويضع مئات ، أي أن عددها بين السدس والسبع من مجموع ما ورد بالكتاب كله وهو ٢١.٢٢ من أحاديث وآثار ، على أنه ليست الأحاديث المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمصنف كلها متصلة الإسناد ، بل منها ما استاده مرسل ومنها ما استاده منقطع ومنها ما هو معضل بل ورد الإبهام في بعض الاستياد كان يقول « عن رجل » دون تسميته ، فهذا مما ينزل بدرجة صحة الحديث حيث قد يكون هذا الراوي مجهول غير ثقة أو غير ضابط .
واليك الآن مختارات من كتاب « المصنف » يسبق كلا منها الرقم الذي يحمله في الطبعة المشار إليها تيسيرا للرجوع إليه :

١ - فما ورد مرفوعا متصل الإسناد نقبَس ما يلي :

٢٩٩ - عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يتوضأ فيه » .

٣٣٠ - عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا ولغ الكلب في

بابا عن « ذكر القصاص » في كتاب الجمعة ، كما نراه يفصل بين كتاب العيدين وكتاب الجنائز بكتاب « فضائل القرآن » ، ويأتي كتاب العقيدة عقب كتاب الصيام وقبل كتاب المناسك ، كما يأتي بكتاب البيوع بعد كتاب الجهاد والمغازي وأهل الكتاب والنكاح وقطالاق ، ويأتي بباب تزويج فاطمة رضي الله عنها في كتاب المغازي بعد الأبواب التي ذكر فيها مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ووفاته والأحداث التي تلت ذلك حتى مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولكن هذه أمور يسيرة لا تنقص من قيمة الكتاب وأهميته .

وكسائر المصنفات الأخرى يحتوي مصنف الإمام عبد الرزاق على الأحاديث المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى غيرها من أحاديث موقوفة ومن أقوال وفتاوى منسوبة إلى الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ويكثر في « المصنف » مراسيل التابعين من أمثال عطاء وقتادة ومجاهد والزهري وابن سيرين ويكثر من روايات معمر عن قتادة وابن جريج عن عطاء ، وكثيرا ما يقول ابن جريج : « سألت عطاء » أو « سئل عطاء » عن كذا فأجاب بكذا ، وأحيانا يزيد عبد الرزاق بعد الرواية تفسيراً لكلمة أو توضيحاً لعبارة ، وقد تكون هذه الزيادة من عنده ، وقد ينسبها لأحد شيوخه ، ويستعمل عبد الرزاق في تحمله عبارة « عن فلان » أو « أخبرنا فلان » أو « قال فلان » ، ولم يستعمل لفظ « حدثنا » .

الاتاء فاعسلوه سبع مرات اولاهن بالتراب « (٨) .

١٩٨٤ — عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسى بيده ، لقد هممت أن آمر مفتيتي أن يستعدوا الى بحـزم الحطب ، ثم آمر رجلا فيمضى بالناس ، ثم تحرق بيوتا على من فيها » (٩) .

٢٦٣٣ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن ابي اسحاق عن عبد الجبار بن وائل عن ابيه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال (غير المضموع عليه ولا الضالين) قال : آمين » . قال معمر : يؤمن وأن صلى واحدا .

٩٠٣٣ — عبد الرزاق معمر عن عاصم عن عبد الله بن مرجس قال : رأيت عمر بن الخطاب يقبل الركن وكان يقول : « واللّه انى لأتقبلك وأعلم أنك حجر وأعلم أن الله ربي ، ولكن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك فقبلتك » (١٠) .

١٠٩٥٢ — عبد الرزاق عن مالك عن نافع عن ابن عمر « أنه طلق امراته وهى حائض ، فسال النبي

صلى الله عليه وسلم فأمره أن يراجعها ويتركها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم أن شاء أمسك بعد ، وأن شاء طلق ، فتلك التى أمر الله أن تطلق لها النساء » (١١) .

١٢٥٩٦ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا المثني بن الصباح قال : أخبرني عمرو بن شعيب عن ابيه عن عبد الله بن عمرو أن امرأة طلقها زوجها وأراد أن ينتزع ولدها منها ، فجاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت « يا رسول الله : حين كان بطنى له وعاء وثديى له سقاء وحجرى له حواء أراد أبوه أن ينتزعه منى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنت أحق به ما لم تزوجى » (١٢) .

٢١٠٣٣ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس قال : « كان شعر النبي صلى الله عليه وسلم الى أنصاف أذنيه » (١٣) . (ب) ومما رفع الى النبي صلى الله عليه وسلم وحديث ابهام فى أسفاده نسوق ما يلى :

١٨٢٢ — عبد الرزاق عن معمر عن صاحب له عن الحكم بن عيينة عن عبد الرحمن بن ابي ليلى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر

(٨) رواه أحمد عن عبد الرزاق ، ورواه مسلم من طريق غيره .

(٩) ورد هذا الحديث فى صحيفة همام ، ورواه كل من مسلم والبيهقى من طريق عبد الرزاق .

(١٠) أخرجه أحمد فى مسنده وابن ماجه فى سننه من طريق ابي معاوية عن عاصم .

(١١) ورد هذا الحديث بأولها ، ورواه البخارى ومسلم عن طريق مالك .

(١٢) ورد مثله فى مسند أحمد وسنن ابي داود .

(١٣) هذا الحديث آخر ما ورد فى كتاب (المستف) .

نظرات في الحديث

صلى الله عليه وسلم دعا بني النضير الى ان يعطوا عهداً يهادونه عليه فأبوا ، فقاتلهم » (١٦) .

٩٤٢٧ — عبد الرزاق عن الثوري عن صاحب له عن رجل عن ابن عباس قال : « ما قاتل النبي صلى الله عليه وسلم قوما الا دعاهم » (١٧) .

١٢٦٩٤ — عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن رجل من مزينة عن أبي هريرة : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديا زني يهودية » (١٨) .

(ج) وما رفع الى النبي صلى الله عليه وسلم أو الى عهده ولم يتصل سنده نسوق ما يلي :

١٨٦٤ — عبد الرزاق عن ابن عيينة عن صفوان بن سليم عن عطاء ابن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يفر الله للمؤذن مدى صوته ، ويصدق كل رطب ويابس سمعه » (١٩) .

بلا لا ان يثوب في صلاة الفجر ولا يثوب في سواها » (١٤) .

٥٧٢١ — عبد الرزاق عن هشام ابن حسان عن حفصة بنت سيرين ان امرأة حدثتها : « غزا زوجي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة ، فخرجت معه في خمس منهن ، فكنا نقوم على المرضى ، وندأوى الكلبي ، وأمرنا في المعيدين ان من لم يكن لها جلباب ان تلبسها صاحبها من جلبابها ، قالت حفصة : فقدمت علينا أم عطية الانصارية ، فذكرت ذلك لها ، فقلت : نعم ، بأبي هو و أمي أمرنا أن نخرج في المعيدين العواتق وذوات الخدور والحبيص ، قالت : فما الحيض فيمتزلن المصلى ويشهدن الخير ودعوة المسلمين » (١٥) .

٩٤٢٢ — عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : « أن النبي

(١٤) في أسناد هذا الحديث بهم معمر شيخ عبد الرزاق أسم صاحبه الذي روى عنه ، فلاستناد لذلك (منقطع) وإذا أضفنا الى ذلك ان ابن أبي ليلى لم يلق ببلا ، فيكون الحديث (مرسلا) كذلك .

(١٥) وفي أسناد هذا الحديث أبهت حفصة بنت سيرين اسم المرأة التي حدثتها بالجزء الأول من الحديث وان كانت صحابية كما يبدو من سياق الحديث ، وقراءه البقارى ومسلم من طريقين آخرين .

(١٦) أبهم من هذا الاسناد اسم الصحابي كذلك .
(١٧) وأبهم في اسناد هذا اثنان : شيخ الثوري وشيخه ، فلاستناد لذلك (مفضل) وان كان قد أوصل الحديث غيره عن طريق الثوري عن ابن أبي نجيع عن أبيه عن ابن عباس .

(١٨) وهنا أبهم الزهري اسم من حدثه عن أبي هريرة ، فهو لذلك (منقطع) .

(١٩) يرفع هذا الحديث عطاء وهو تابعي توفي عام ١٠٢ هـ ، وحيث سقط منه الصحابي فهو (مرسل) .

٦١٦٢ - عبد الرزاق عن ابن جريج قال : حدثت عن بصرة بن أبي بصرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يعمل المظي إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجد الحرام ثم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد بيت المقدس » (٢٤) .

٦٥٤٣ - عبد الرزاق عن هشام عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « غزوة في سبيل الله أو راحة خير من الدنيا وما فيها ، ولو قوف أحكم في الصف خير من عبادة رجل مستتين سنة » (٢٥) .

٦٦٤٤ - عبد الرزاق قال : أخبرني عن ابن سيرين قال : « كان الرجل من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خاف نزع سلاحه فاعطى هذا وأعطي هذا من سلاحه ، وكان أسسها عليهم

٢١١٩ - عبد الرزاق عن ابن جريج عن سليمان بن موسى قال : أنبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « صلوا العشاء بعد أن يغيب الشفق بينكم وبين نصف الليل » (٢٥) .

٧٣٠١ - عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء بن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان لم تروا هلال رمضان فاستكملوا شعبان ثلاثين يوما ، وان لم تروا هلال شوال فاستكملوا رمضان ثلاثين يوما » (٢٦) .
٨١٣٣ - أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر قال : « بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم نبح بالمصلى ، أو قال نحر » (٢٧) .

٨٧٤٨ - أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة قال لا أعلمه إلا رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم : « أنه نهى عن أكل الهر وأكل ثمنه » (٢٨) .

(٢٥) يرفع سليمان بن موسى الحديث هنا بقوله (أنبئت) بصيغة المبني للمجهول ، وهو تابعي (٦٥ - ١١٥ هـ) فالاستناد (مرسل) .

(٢٦) وهنا يرفع عطاء الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تابعي ، فالاستناد (مرسل) أيضا ، وعطاء هذا هو عطاء بن أبي رباح شيخ ابن جريج ، ولد عام ٢٧ هـ وتوفي عام ١١٧ هـ ، وسمع من الأمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢٧) يبلغ معمر الحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أتباع التابعين فسقط من الاستناد على الأقل اثنان : التابعي والصحابي فالحديث (محض) .

(٢٨) واستناد هذا الحديث (مرسل) ، فقتادة بن دعامة تابعي توفي عام ١١٧ هـ وحفظ عن جابر بن عبد الله التوفي ٧٨ هـ .

(٢٩) وسقط من هذا الاستناد التابعي الذي حدث ابن جريج بالحديث ، فهو (منقطع) .

(٣٥) ويرفع هذا سيد التابعين الحسن بن يسار البصري التوفي ١١٠ هـ ، فالاستناد (مرسل) .

نظرات في الحديث

١٢٥٩٤ — عبد الرزاق عن معمر قال : « بلغني أن عمر بن الخطاب سمع امرأة وهي تقول :

تطاول هذا الليل واسود جانباه وليس بجنبي من حبيب الأعبه فلولا الذي فوق السماوات عرشه

لزعزع من هذا السرير جوانبه فأصبح عمر فأرسل إليها فقال : انت الغائلة كذا وكذا ؟ قالت : نعم ، قال : ولم ؟ قالت : أجهزت زوجي في هذه البعوث ، قال : فسأل عمر حفصة : كم تصبر المرأة من زوجها ؟ قالت : ستة أشهر ، فكان عمر بعد ذلك يقتل بعوثه لستة أشهر » .

هـ) ومما نسب الى التابعين في (المصنف) من أقوال وفتاوى نسوق الامثلة الآتية :

١٤٧٤ — عن عبد الرزاق عن أبي حنيفة عن حماد عن مجاهد (٢٨) قال : سئل عن المطر يصيب الثوب ، قال : « يصل في فيه فإذا جف فليحكه »

١٨١١ — عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : « يستقبل القبلة في الأذان والاقامة ولا يتكلم فيهما » .

١٠١٩٣ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة قال : « لا تؤكل ذبيحة الجوسي وإن ذكر الله » .

الريح « (٢٦) . يعني حتى ينكران فلا يمرقان .

١٠٦٥٨ — عبد الرزاق عن معمر قال : « بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أراد فراق سودة ، فكلمته في ذلك فقالت : يا رسول الله ، ما بي حرص على الأزواج ، ولكن أحب أن يبعثني الله يوم القيامة زوجا لك » (٢٧) .

د) ومما يرويه (المصنف) موقونا على الصحابي نقتبس ما يلي :

٤٥٩ — عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن ابن سيرين عن يحيى بن الجزار قال : « صلى ابن مسعود وعلى بطنه فرث ودم من جزر نحرها ولم يتوضأ » .

١٦٠٨ — عبد الرزاق عن الثوري عن حبيب بن عيسى عن ابن عباس « أنه كان يكره أن يصل في كنيسة إذا كان فيها تماثيل » .

١٨٥٨ — عبد الرزاق عن معمر عن الزهري أن أبا بكر الصديق قال : « الأذان شعار الأيمان » .

١٠٠٥٧ — أخبرنا عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن قتادة أن حذيفة نكح يهودية في زمن عمر ، فقال عمر : طلقها فاتمها حجرة ، قال : أحرام هي ؟ قال : لا ، فلم يطلقها لقوله ، حتى إذا كان بعد ذلك طلقها .

(٢٦) سقط من هذا الإسناد شيخ عبد الرزاق فهو (منقطع) ، وسقط منه الصحابي لأن معمر بن سيرين تابعي توفي ١١٠ هـ فهو (مرسل) أيضا أو (معضل) .

(٢٧) وهذا من بلاغات معمر أيضا ، فالإسناد (معضل) لفقد هاتين منه على الأقل .

(٢٨) هذا مجاهد بن جبر ، تابعي توفي عام ١٠٢ هـ .

١٠٢١٦ - أخبرنا عبد الرزاق
قال : أخبرنا معمر عن قتادة عن ابن
المسيب (٢٩) قال « دية المجوسى
ثمان مئة درهم » .

١٠٦٨٢ - عبد الرزاق عن معمر
عن الزهرى قال : « ترد فى النكاح
الرتقاء » .

والرتقاء : هى التى لا يقدر الرجل
عليها .

١٣٣٧١ - عبد الرزاق عن ابن
جريج قال : قلت لعطاء : « لو شهدت
ست نسوة على زنا مع الرجل ؟ قال :
لا ، الا ثلاثة رجال وأمرأتان » .

(٣٠) وما ورد فى (المصنف) من
دون التابعين (٣٠) من أقوال ومتاوى
نسوق ما يلى :

٧٢٨٢ - قال عبد الرزاق : « وكان
معمر يكره أن يــــتحلف أحد
بالمصنف » .

١١٣٥٦ - عبد الرزاق عن سفيان
فى رجل قال لامراته : « أنت طالق

ثلاثا الا ثلاثا . قال : قد طلقت منه
ثلاثا ، وإذا قال : أنت طالق ثلاثا
الا اثنتين ، فهى طالق واحدة ، وإذا
قال : أنت طالق ثلاثا الا واحدة ، فهى
طالق اثنتين » .

١١٩٥٠ - عبد الرزاق عن الثورى
قال : « إذا قال الرجل للرجل :
أذهب فطلق امرأتى ثلاثا فطلقتها
واحدة فهو جائز لأن الواحدة من
الثلاث ، وإن قال طلق واحدة فطلق
ثلاثا فهو خلاف ليس بشئ » .

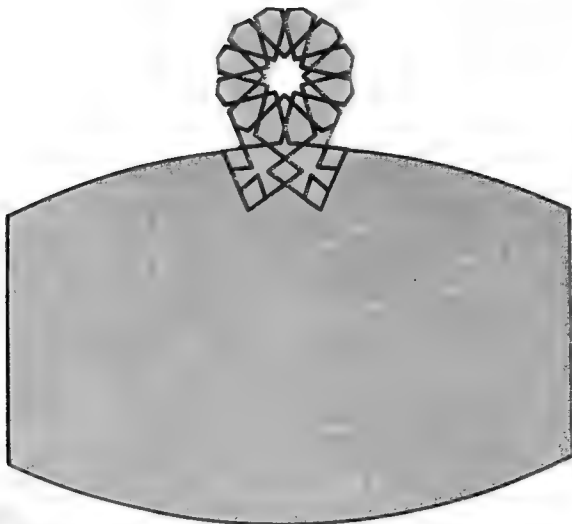
١٣٨٢٨ - عبد الرزاق عن الثورى
فى أكل لحم الخنزير ، قال : « ليس
فيه حد ، ولا يفرر » .



وبذلك يتم الكلام على المرحلة
الثانية من مراحل تدوين الحديث ،
وهى مرحلة كتابة المصنفات ، ويلى
ذلك الكلام على مرحلة تدوين
(المسند) أن شاء الله تعالى .

(٢٩) توفى سعيد بن المسيب عام ٩٢ وقيل عام ٩٤ .

(٣٠) هؤلاء الآلثة الثلاثة الذين سقنا أقوالهم من طبقة اتباع التابعين ، معمر بن راشد سمع من
عدد من التابعين كههم بن منبه ، وتوفى عام ١٥٣ هـ وسفيان بن عيينة كان من تلاميذ
الزهرى ومعمر ابن دينار وتوفى عام ١٩٨ هـ ، وأما سفيان بن سعيد الثورى فقد سمع
عن الزهرى ومن قبله ، وتوفى عام ١٦١ هـ .



للإستاد : سعيد زايد

ابن خلكان في (وفيات الأعيان) إن اسمه أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ . وقال القنطلي إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ووافقه في ذلك البيهقي . وقال ابن النديم في (الفهرست) إن اسمه هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان . وقال صاعد في (طبقات الأئمة) إن اسمه أبو نصر محمد بن محمد بن نصر . وقال في مكان آخر من نفس الكتاب إنه أبو نصر محمد بن نصر .

وواضح من هذا أن المؤرخين قد أجمعوا على اسمه ، وإن كانوا قد اختلفوا في ذكر نسبه واسم أبيه ، فقالوا جميعهم إن اسمه (محمد) . وقد اتفق أغلب المترجمين للفارابي

لم يكن الفارابي بالرجل الذي تغريه مظاهر الدنيا والجاه ، بل أنه قضى حياته كلها في شغل من العيش وكان يكسب قوته بعمل يديه ، حتى أنه كان يعمل ناطورا إبان الفترة التي ذهب فيها إلى دمشق . والشيء البارز في حياته ، هو انقطاعه للتعليم والتأليف ، ووجهه للأسفار ، قضاها في حلب - إلى دمشق وإلى مصر ، وانتقل من مستقر رأسه إلى بغداد ، ومنها إلى حران ، ثم رجع إليها . .

وقد اختلف المؤرخون في نسبه ، فقال ابن أبي أصيبعة في (عيون الأئباء) أن اسمه أبو نصر محمد ابن محمد بن أوزلغ بن طرخان . وقال

من أنه كان يلم بمسعين لسانا يدخل
في باب الأساطير .

وتولى الفارابي في دمشق ،
وكرمه سيف الدولة بن حمدان بسان
صلى على جثمانه مع بعض خواصه
ودفن بظاهر دمشق خارج الباب
الصغير .

وقد قيل أن الفارابي — فوق كونه
مفكرا — كان شاعرا أيضا ، ونسبوا
إليه بعض الأشعار كما جاء عن ابن
خلكان وابن أبي أصيبعة . ولكن ذلك
لم يثبت علميا ، فأغلب ما نسب إليه
من شعر لا يتفق مع ما كان عليه من
منزلة علمية وخلقية .

ولكن الثابت أنه كان موسيقيا
بارعا ، فقد روى ابن خلكان في
وفيات الأعيان (١) أن الآلة المسماة
بالمقنن من وضعه ، وأنه أول من
ركبها هذا التركيب . وحكى أيضا أن
الفارابي كان ذات يوم في مجلس
سيف الدولة بن حمدان ، فقال له
سيف الدولة : « هل لك في أن تأكل ؟
فقال : لا ، فهل تشرب ؟ فقال : لا ،
فهل تسبح ؟ فقال : نعم . فأمر سيف
الدولة باحضار القيان ، فحضر كل
ماهر في هذه الصناعة بانسواء
الملاهي ، فلم يحرك أحد منهم آله ،
الا وعابه أبو نصر وقال له : أخطأت .
فقال له سيف الدولة : وهل تحسن
في هذه الصناعة شيئا ؟ فقال : نعم .
ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها
وأخرج منها ميدانا وركبها ، ثم لعب
بها ، فضحك كل من كان في المجلس ،
ثم فكها وركبها تركيبا آخر ، ثم ضرب
بها ، فبكى كل من كان في المجلس ؟ ثم
فكها ، وغير تركيبها ، وضرب بها
ضربا آخر ، فقام كل من في المجلس
حتى البواب ، فتركهم نبالا وخرج » .
ويعلق استاذنا المرحوم الشيخ

على أنه تركي الأصل ، ولكن ابن أبي
أصيبعة ذكر أن والده كان فقد جيش ،
وهو فارسي المنتسب ، والغالب أن
أباه لم يكن من القواد الذين يشهد
بذكرهم التاريخ ، ولكن صفتي
الشجاعة والصبر قد ورثهما الفارابي
عنه إذ أنه احتمل متاعب الدرس
وشظف العيش ومشاق الأسفار .

وينسب الفارابي إلى بلدة فاراب ،
ولكن صاحب الفهرست قال أنه من
بلدة نارياب من أرض خراسان .
وبدعيه أنه لو كان من نارياب لكان
اسمه الفاريابي لا الفارابي . وبذا
يصحح من المؤكد أنه من بلدة فاراب .

وقد ذكر ابن خلكان أن الفارابي
توفي سنة ٣٣٩ هـ عن ثمانين عاما ،
وبذا يمكننا أن نستنتج تاريخ مولده
بأنه كان حوالي سنة ٢٥٩ هـ . وهذا
الاستنتاج ضروري في هذا المجال ،
إذ أنه لم يترجم لنفسه كما صنع غيره
من مفكري الإسلام ، وكذا لم يفعل
ذلك أحد من تلاميذه .

ولقد كان الفارابي يهوى التنقل
والأسفار . ولكن المؤرخين لم يفكروا
شيئا عن رحلاته الا ما وقع منها بعد
أن بلغ من الخمسين ، أضف إلى ذلك
أنهم لم يفكروا لنا شيئا يروى الفلة
عن طفولته وشبابه ، بل أنهم تتبعوا
حركة أسفاره بعد أن رحل هو من
بلده إلى بغداد ، وبذا تظل في حياة
الفارابي فترة غامضة قد يجلوها
كشفي على .

وقد نشأ الفارابي على ثقافة لغوية
دينية ، فقد اقبل على العلوم الإسلامية
من فقه وحديث وتفسير ، وتعلم
اللغة العربية والتركية والفارسية ،
وببعد عن الظن أنه عرف لغة أخرى
غير تلك اللغات ، فما رواه ابن خلكان

الفارابى فى مقدمته انه الفه بناء على طلب أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى . (٥) .

هذا ، وتوجد ست نسخ من هذا الكتاب مخطوطة واحدة فى لندن ، والثانية فى ميلانو ، والثالثة فى مكتبة الاسكوريال ، والرابعة فى بيروت ، كما أشار دير لانجيه ، أما النسختان الخامسة والسادسة فتوجدان فى دار الكتب المصرية ، واحدة كاملة وهى التى كتب على غلافها (كتاب الموسيقى الكبير) والآخرى ناقصة . وقد نشر هذا الكتاب أخيرا فى مصر .

ويعتبر الفارابى علم الموسيقى جزءا من علم التعاليم ، ويقول عنه أنه العلم الذى تعرف به صناعة الألحان ، وهو قسمان : موسيقى نظرية ، وموسيقى عملية . ومن الآلات الموسيقية ما هى طبيعية مثل الحنجرة واللاهة وما فيها ، ثم الألف ، وما هى صناعة مثل المزمار والعيدان وغيرها . وينقسم علم الموسيقى النظرى الى خمسة أجزاء : أولها المبادئ التى تستعمل فى استخراج ما فى هذا العلم ، وثانيها البحث فى أصول هذه الصناعة ، وثالثها مطابقة ما تبين فى الأصول على أصناف الآلات ، ورابعها القول فى أصناف الإيقاعات الطبيعية التى هى أوزان النغم ، وخامسها البحث فى تأليف الألحان فى الجملة ، ثم تأليف الألحان الكاملة .

ونختم كلامنا بنصين للفارابى : الأول عن معنى صناعة الموسيقى ، والثانى فى القرض من تأليف كتاب الموسيقى الكبير .

يقول فى الأول : « نبتدى فنلخص أولا ، ما معنى صناعة الموسيقى ؟

مصطفى عبد الرزاق على ذلك بقوله : « ولئن كانت هذه الحكاية أدنى الى الأساطير منها الى التاريخ ، فهى تشبه أن تكون غلوا مجاوزا لا اختراعا صرفا » .

وهذا حق ، فإن للمعلم الثانى بأما طويلا فى الموسيقى ، فقد ذكر الدكتور فارمر أنه ألف كتابا موسيقية منها : كتاب الموسيقى الكبير ، وكتاب الإيقاعات ، وكتاب آخر بعنوان : (كلام . . فى النقلة أو فى النقرة كما يرى مسنر شتاينشيدر) مضافا الى الإيقاع) وفصل عن علم الموسيقى فى كتابه (احصاء العلوم) (٢) .

وذكر ابن أبى أصيبعة أن كتب الفارابى الموسيقية هى : كتاب الموسيقى الكبير ، وقد ألفه للوزير أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى ، وكتاب فى احصاء الإيقاع ، وكلام فى النقلة مضافا الى الإيقاع ، وكلام فى الموسيقى (٣) .

وكتاب الموسيقى الكبير ، انما جاءت تسميته بهذا الاسم من عند ابن أبى أصيبعة ، وقد جراه فى ذلك الدكتور فارمر . وفى الحق انه كتاب كبير ، ولكن اسمه الحقيقى هو (كتاب صناعة الموسيقى) كما يظهر من افتتاحيته .

وينقسم الكتاب المذكور الى قسمين : الأول فى المدخل الى صناعة الموسيقى ، (وقد ظنسه البعض خطأ انه كتاب مستقل) (٤) ويقع فى مئتين ، والثانى فى صناعة الموسيقى ويتناول الكلام فى أصول الصناعة ، وفى الآلات المشهورة ، وفى أصناف الألحان ، وقد ذكر

لفظ الموسيقى معناه الألحان .
واسم اللحن قد يقع على جماعة نغم مختلفة رتبت ترتيبا محدودا . وقد يقع أيضا على جماعة نغم الفت تاليفا محدودا ، وقرنت بها الحروف التى تركيب منها الألفاظ الدالة المنظومة على مجرى المادة فى الدلالة بها على المعانى . وقد يقع أيضا على معان أخر غير هذه ليس تحتاج إليها فيما نحن بسبيله .

فالمعنى الأول من هذين ، إما اسم من الثانى ، وإما شبه مادة له . فإن الأول هو جماعة نغم تسمع من حيث كانت ، وفى أى جسم كانت ، والثانى هو جماعة نغم يمكن أن تقرن بها الحروف التى تركيب منها الفاظ دالة على معان ، وهذه هى الأصوات الإنسانية التى تستعمل فى الدلالة على المعانى المقولة ، وبها تقسح المخاطبات .

وظاهر أن دلالات اسم اللحن على هذين بالتقديم والتأخر « (٦) » .

ويقول فى الثانى : « وإذا كانت الأناويل التى اشتجلت على الفنون الثلاثة التى أثبتناها فى كتابنا هذا ، قد استوفت جميعا ما هو تابع للمبادئ الأولى الخاصة بصناعة الموسيقى العلمية ، وذلك كان مقصودنا من أول ما شرعنا فيها ، فلنجعل هذا الموضع آخر كتابنا هذا بأسره ، وهو الكتاب الذى اشتغل على أسطوانات هذه الصناعة ، وعلى الآلات المشهورة ، وعلى تركيب الألحان . وكتابنا هذا إنما انتظم فى هذه الصناعة ما شأنها خاصة أن يتبع المبادئ والأصول الموضوعات فيها والمصادر التى تسلمت فيها سلف .

وأما تبين حال كثير من مبادئها ، وجل الأصول الموضوعات ، وسائر الأشياء الخارجة النسوبة إلى هذا العلم بغير الجهة التى أثبتت ههنا ، فقد تقدمنا نحن ووفينا ببيانها ، ولخصناها كلها فى كتابنا الذى الفناه فى المخلول وفى الأشياء الخارجة المطينة بهذا العلم ، والمنسوبة إليه بالجهة الأخرى « (٧) » .

(١) الجزء الثانى ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) مصادر الموسيقى العربية ، تأليف فارمر ، ترجمة الدكتور حسين نصار ص ٦٠ ، - ٦٢ القاهرة ١٩٥٧ .

(٣) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ج ٢ ص ١٢٩ ، القاهرة ١٨٨٢ م .

(٤) فارمر ، المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٥) « تقلد أبو جعفر محمد بن القاسم الجبل وديوان السواد دفعات ، وقطعة من الخشرك كبيرة ، وتقلد البصرة والإهواز مجموعة ، ثم تقلد عدة دواوين . ثم آلت هاله فى آخر هجرة إلى الفقر الشديد ومات بعد سنة ٣٣٠ هـ فى منزله ببغداد » مجمع البلدان ، ج ٤ ص ٢٥٢ .

٢٥٤ طبعة لينزج ١٨٦٩ م .

(٦) كتاب الموسيقى الكبير ، مدخل الكتاب . (٧) المرجع السابق ، الفصل الأخير .

حُرَّتْ فِي الْمَدِينَةِ

للاستاذ : محمد ليبيب البوهي

الجهاد .. وهو بذل الجهد من قسوة
.. وعقيدة .. ومال في سبيل
إحقاق الحق .. وإيام الجهاد هي
الذروة في تاريخ الأمم .. قدرا
وشرقا وسعادة أنفس .. ففيها يتنسم
الناس ريح الجنة .. إذ يكونون أقرب
إلى ربهم من سائر أيامهم .
* * *

ولقد كان السلطان العادل المؤمن
نور الدين في عام ٥٥٧ من الهجرة
يقوم على رأس المجاهدين من قومه
.. وكان قد أعد لكل احتمال عدته ،

كان السلطان العادل نور الدين
محمود قد نذر كل جهده وحياته
لمحاربة الصليبيين أولئك الغزاة الذين
جاءوا من الغرب يبيتون أطماعا
خبينة في أرض العرب ... وحققوا
دفينا على الاسلام والمسلمين قاطبة
... وكانت تحدوهم أكذوبة كبرى
يملفونها على السذج من الناس ..
ولقد هبت بلاد الاسلام من أبنائها إلى
أقصاها لرد هذا البلاء الذي امتحنت
به كما يتحصن دائسا المؤمنون
الصادقون .. فمن أجل هذا غرض

المستورة

قادر على أن يقلب اثنين من أهل
الباطل .

ولقد كان السلطان العادل المؤمن
صاحب تهجد في الليل — وصاحب
أوراد في النهار — .. وكان صاحب
عدل ينشر ظلاله على الناس . وكان
مجلسه من أطيب المجالس وأكرمها ..
فما قصده صاحب حاجة إلا استمع
إليه بقلب مستنير وعقل يقظان حتى
لقد شاع بين الناس .. أن الملائكة
تحف دائما بمجلس السلطان العادل

وكان الرجل مثلاً في الشجاعة وبعد
النظر والصبر والثبات وحب التضحية
.. وذهب في ذلك كله مثلاً يروى
للناس على مدار الاجيال .. وكان
يعلم رجاله أن هناك سلاحاً لا غنى
عنه هو أقوى من كل سلاح .. ولا بد
منه قبل أي سلاح آخر في يد
الجندي .. إنه العون الذي يستمد
من اليقين .. من قوة الإيمان الذي
يجعل المجاهد المؤمن قادراً على
مواجهة عشرة .. وبهما اشتد
بصاحبه الضعف فهو في الحد الأدنى



نور الدين بن محمود .. وكان ممن عاداته أن يتلطف دائما بأصحابه حين يلتاقهم .

ولكن جاءت فترة من الزمن كان السلطان يبدو فيها مشغول البال .. راغبا في الميزة قليل الكلام .. ولم يشأ نور الدين أن يكشف أحدا من خاصته بما يهيم حتى تزداد الأمور في ذهنه تبيانا واشرافا ..

فقد حدث من بضع ليال مضت أن رأى في المنام .. نبي الهدى والرحمة محمدا عليه صلوات الله وهو ينهض أمامه في حلة من نور .. فيأخذ بيد نور الدين ويشير بأصبعه الكريمة إلى رجلين أشقرين ويقول له : أدركني وأنقذني من هذين .. وكان الذي يهيم السلطان .. أنه يعلم أن هذه رؤيا صادقة ما في ذلك ريب .. فقد أخبر الهادي البشير أن من يراه في النوم فقد رآه حقا لأن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بشخصه الكريم .. إذ لا يمكن للظلام أن يلبس ثوب النور .

لقد أيقن السلطان أنه رأى النبي العظيم في هذا المنام حقا — ولقد رآه في منامه من قبل كثيرا .. رآه يوم فكر في الخروج للجهاد .. ورآه في بداية كل جولة من جولات الجهاد وفي أعقابها .. وإنه لشرف عظيم كان يبدو به سميدا مستبشرا بقرير العين إذ يرسمه الله السى هذه المكتبة .. فبريه في منامه أشرف خلق الله طرا .. ولكن لماذا يبدو النبي الكريم في هذه الرؤيا حزينا مهموما ..؟ وما شأن هذين الرجلين الأشقرين ..؟ ومن هما ..؟ وما هو ذلك الأثم الكبير الذي يهيم به ويريد محمد العظيم أن يقبده لدفعه ..؟

مضت الأيام تباعا والسلطان المؤمن العادل نور الدين بن محمود موزع النفس بين هذه الرؤيا .. وبين ما تدعوه إليه من عمل .. وما كان له أن ينسى في خضم أعباء الجهاد رؤيا رأى فيها رسول الله .. ولم يكد يمضي على ذلك أسبوع حتى رأى نفس الرؤيا مرة أخرى .. فنهض وأعاد الوضوء والصلاة ثم حاول بعد طول تسبيح وتفكير أن يلتبس ساعة من نعاس ماذا بنفس الرؤيا تعاوده .. ولما نهض مستيقظا مرة أخرى بدا له أنه يرى بعين اليقظة الرسول الكريم ممسكا بیده وهو يشير إلى نفس الرجلين الأشقرين .. أدركني وأنقذني من هذين ..

عندئذ دبر السلطان أمرا .. أنه لا يستطيع وما ينبغي له أن يكتف ما رأى فأسرع على الفور في طلب جمال الدين الموصلی .

كان هذا الرجل وزيرا تقيا ورعا .. وما كان لسلطان تقى ورع إلا أن يتخذ وزيرا على شاكلته ..

لم يكن ضوء النهار قد انبج بعد .. ولكن الرجل أسرع من فوره ليبنى هذا الأمر الذي جاءه في غير وقت معتاد .. وما أن أشرف في مقدمه على القصر .. حتى رأى الشرفة الكبرى مضاة ووجد الحاجب يدعو إلى لقاء السلطان على الفور .

وما أن استمع الوزير إلى رؤيا السلطان حتى استغرق في تفكير عميق .. هذه رؤيا صادقة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها .. فمن رأى المصطفى في منامه فقد رآه يقينا .. ولكن ما هذا الشيء العجيب الذي تنبئ به الرؤيا ..؟

لقد حار الرجل في تأويلها وأدراك ما ترمي إليه .

فلما طال سكوت الوزير .. أوجس السلطان خيفة وظن في الرؤيا تنذيرا

له فقال : يا جمال الدين .. المعهد
بك الصديق والوفاء .. وانك لصاحب
علم ونظر فى الأمور .. ماذا ترى
فى هذه الرؤيا .. ؟

قال الوزير فى أناة وتدبر :
مولاي .. ما من ريب أن هناك شيئا
لا يرضاه الرسول العظيم .. وأن
كيذا ما يدبر فى الخفاء .. وأن
المصطفى عليه صلوات المولى
وتسليماته يندبك لدفع هذا البلاء ..
قال السلطان : ولكن ماذا ترانى
فاعلا ؟

قال الوزير : ما يليق بك أن تقعد
بعد اليوم دون أن تسمى الى صاحب
هذه الرؤيا ...

إن رأى عندى أن ترحل الى
المدينة المنورة بأنواره حيث مقامه
الكريم .. وهناك سوف تكون قريبا
منه .. عسى أن تزداد الأمور أزاء
هذا التجرد وضوحا وتبيناً .

قال السلطان مستبشرا وقصد
أشرق وجهه بنور اليقين : هو ذاك
يا جمال الدين .. أعد للرحلة عدتها
من مال ورجال وما نتقرب به من
هدى الى بلد الرسول وأهلـه
الأكرمين .

قال الوزير : ومتى يرى مولاي أن
نبدأ المسير .. ؟

قال السلطان : اليوم يا جمال
الدين .. فلا وجه ولا جبر لناخير ..

أعلن السلطان أمر خروجه مسافرا
الى بلد الرسول .. واستبشر الناس
بذلك كثيرا .. غير أنه كتم أمر الرؤيا
فلم يطلع عليها أحدا غير وزيره ..
ولقد أوصاه بالكتمان .. فان كتمان
السر من أفضل ما تعالج به الأمور .
 واجتمع الناس حول السلطان
التقى الورع يودعونه . ويسألونه
صالح الدعوات فى روضة الرسول
الكريم .

وخرج السلطان مع وزيره فى
عشرين من خاصة حرسه ورجاله ..
وقد قدروا أن يقطعوا الطريق الى
المدينة فى أسبوعين .. على أن يحطوا
الرجال فى بعض مناطق المسير التماسا
لبعض راحتهم وراحة الدواب ..
وللاجتماع بأهل هذه البقاع ..
والاستماع الى ما يهمهم من شئون
حياتهم .. فما يليق بالسلطان العادل
أن يمر ببعض رعيته مرورا عابرا ..
فى فرصة لا تكرر كثيرا على مدار
الاعوام .

وكان السلطان مما ينفك فى كل
ساعات نهاره عن التفكير فى هذه
الرؤيا .. ولقد استقرت فى وجدانه
صورة هذين الرجلين الأشترين اللذين
أشار إليهما المصطفى فى المنام ..
لقد كانت الصورة فى خياله واضحة
تماما .. فهو يعرف لون شعرها ...
وملامح وجهيهما .. وطريقتيهما فى
المشي والحوار .. ولقد أوتى حظا
من القدرة على الرسم لخط صورتها
على الورق .

.....

وكان الركب السلطاني حين يحط
فى أية مرحلة .. يسارع أهلها الى
تحية السلطان الذى سبقه اليهم أتباعه
عدله .. وكان خطباؤهم وشعراؤهم
يتبارون فى الأشادة بسجائيه فى هذه
الأطفال التى كانت تقام لتكريمه ..
ولقد كان السلطان يحاول أن يلمش تلك
فكره للاستماع الى هذه الكلمات ..
غير أن فكره كان يبرحه ويذهب عنه
دائما بعيدا .. أنه ما يكاد يتخذه مجلسه
بين الناس حتى تلم به صورة هذين
الرجلين الأشترين اللذين رأهما فى
المنام .. ويخيل اليه أنهما يتحديانه .
وأتهما يتجسدان أمامه يروخان بين
القوم ويجنيان وكأنهما يغيطانه .. من
أجل هذا كان صدره يضيق بالمكان ..



قال الوزير : غليفتسل مولاي السلطان
وليظهر .. وليصلين ركمتي التحية
في هذا المسجد القاسم في مدخل
المدينة .. مسجد قباء .. على مسيرة
زهة ميلين منها .. وهو أول مكان
نزل فيه محمد عليه صلوات الله قبل
دخوله المدينة .

فعل السلطان ما اشار به الوزير .
ثم سار الركب الى الحرم النبوي ...
ووقف السلطان في الروضة مسلما
في ادب وخشوع على صاحبه .. ولم
يكن الرجل بقادر على أن يمسك دجعة
الذي انهمر في جلال الموقف .. لقد
وقف صامتا عاجز اللسان عين الكلام
وترك المجال لقلبه ليستقبل أنوار
الهداية .. وكانت تتردد في خفايا
القلب دعوات صامتة الى رب الأرض
والسموات .. ورب محمد .. ورب
كل شيء كي يكشف الله عن بصيرته هذه
المهمة التي نذبه من أجلها رسول الله
ثم تراجع السلطان خطوات .. وراح
يصلى ما طابت له الصلاة .. وما ان
سلم عن يمين وعن شمال .. حتى خيل
اليه أنه يرى رسول الله أمامه في
الحراب يمد اليه ينفاه الشريفة .
فأسرع وتقدم كي يقبل اليد الكريمة .
وكان وزيره على القرب منه .. فراح
يضرب يديه أسفا وهو لا يرى حولنه
غير الجبال وقد ظن الظنون بما أصاب
عقل السلطان الرشيد الحكيم .

• • • •

كان السلطان ما يزال يتكلم سره
فلم يطلع عليه أحدا غير وزيره ..
ولكنه تحدث الى والي المدينة فقال : إنه
يريد أن يصافح بيده كل رجل .. وكل
شاب .. وكل فتى ممن يقيمون في
المدينة .. سواء كانوا من أهلها أو من
زوارها .. أنه يريد أن يراهم أجمعين
وأن يصافحهم فردا فردا لا يتأخر ولا
يتخلف منهم أحد .

ويود أن ينطلق الى الرحاب
الواسعة للتفتيس عن نفسه .. فما
ان ينتهي الحفل حتى يبرح السلطان
خيمته ويضرب وحيدا الا من أفكاره
في البقاء على غير هدى .. وكان
بعض رجاله يتابعونه من بعيد
لحراسته .. دون ان يعكروا عليه
فكره .. ويستمر السلطان مصعبا
في التلال متابعيا صورة هذين الأشقرين
المعونين .. وكأنه يطاردهما ولكنه
ما زال في حيرة من أمرهما .. وفي
أمر الشر الذي يذيرانه .. لا يخفف
عنه الا احساسه بهذا الشرف الذي
أسبقه عليه سيد الرسل حين نذبه
في الرؤيا الصادقة لهذه المهمة ..
ولكن كيف يتسنى له أن يعرفهما ...
وان يعرف هذا الشر الذي يذيرانه ..
كان السلطان يبدو دائما مسترسلا
في هذه الأفكار .. وكان حراسه
يتهايمسون عما يفعلون حين يرونه قد
قطع في مسيره المستوحش شوطا بعيدا
وان أحدا منهم لا يجسروا في الحديث
اليه كي يعود أترابه قبل أن يتقدم
الليل . فأسرعوا الى وزيره ليذير
الأمر .. وجاء جمال الدين .. وسار
الى جوار السلطان هادئا ساكنا لا يريد
أن يبدأ الحديث .. حتى أحس به
السلطان فاستيقظ من شروده وعاد
يتلطف الى الوزير .. ويصطنع
الابتسام .. وعاد معه من حيث جاء .

• • • •

وصل الركب السلطاني المهيب
مشارف المدينة .. وأسرع السلطان
في طلب وزيره ليسأله عما يلزم من
الآداب التي يستقبل بها مدينة الرسول
العظيم .. فانه لكل مجال آدابه ..

أخذ والى المدينة ينشر هذا على الناس .. وفرح القوم بهذه الفرصة المباركة التي أتاحت لهم اللقاء السلطان المعادل المجاهد الذى أشرقت أنوار أجهاده فى الأفاق .

وتزاحم الناس . وأخذوا يتدافعون أفواجا .. ولكن الوزير جمال الدين تحدث الى والى المدينة كي يجعل لقاء الناس بالسلطان بتخطيط واعداد ونظام .. وكان الوزير يدير فى نفسه أن السلطان يريد أن يتيمن فى كل شخص وهو يصفحه .. حتى لا يغوته أحد من المقيمين بالمدينة .. عساه أن يكشف بينهم عن هذين الأشقرين اللذين طلب إليه رسول الله فى الرؤيا أن يدركه ويفقيه منهما .

• • • • •

قام الوالى بوضع خريطة للمدينة . وقام رجاله بتحديد طرقاتها وبيوتها .. وحصر الناس فيها .. وحددوا لأصحابها من الرجال والشباب الموعد المضروب للقاء السلطان نور الدين العظيم .

وكان السلطان يلقيهم فردا فردا . يصفاههم ويهش إليهم . ويتحدث الى بعضهم ويسألهم عما يهمهم .. ويأمر كل يوم بالصدقات لذوى الحاجة منهم . فرأت المدينة أياما وليالى مشرقة مضيئة وكان الناس فى كل مكان يلهجون بالنصر للسلطان وهم يتذكرون أعماله .. وأخذ الشباب والصبيان يقلدونهم لحبهم إياه فى حركاته وسكاته ، وفرح أهلهم بذلك كثيرا .

أما الشيء الذى لم يدرکه أحد .. فهو أنه كان يتفرس طويلا فى وجهه كل من يصفحه عساه أن يجد بينهم أحدا من هذين الأشقرين اللعونيين .. ولكن الأيام تمر . والسلطان لم يقع على بغيته .. حتى انتهى عرض كل

أهل المدينة والمقيمين فيها عليه . دون أن يتحقق له الأمر الذى كان ينتشده . ضاق صدر السلطان المعادل نور الدين .. وربكه الهمم .. وقام فى روضة الحرم المحمدى بلكيا . خاشعا مصليا .. رافعا يديه الى السماء فى ابتهاج حار عميق كي يكشف الله له عن حقيقة الأمر فى هذه الرؤيا .. وكان السلطان يقضى الساعات الطوال فى ركوعه وسجوده وبكائه . ومن خلفه كان الوالى والوزير يضربون أيديهم أسفا لما أصاب السلطان الرشيد .

اتجه السلطان الى والى المدينة وقال : هل أنت على يقين تام أنه لم يبق أحد من أهل المدينة لم أصفحه ؟ قال الوالى : لقد جئنا بكل شاب وكل رجل من أهلها .. لقد كان الناس يتزاحمون على بلك وكل منهم سعيد بهذه الفرصة . فلم يتخلف أحد .

قال السلطان لوالى المدينة : أبحث هذا الأمر مرة أخرى وتبهره .. وذهب الوالى يرسل العسس .. وجاء من يذكره بأمر هذين الرجلين الكريمين من رجال التصوف والحكمة اللذين اعتزلا الناس بعد أن جاءا الى المدينة من نحو عام وقاما بتوزيع الأموال والصدقات ثم اعتزلا الناس زهدا وعبادة وما كاد الوالى يتحدث الى السلطان عنها معددا مناسباتها .. وافتضالها .. وكرمها .. حتى أبدى السلطان رغبته فى السلام عليهما والتبرك بهما عسى أن يسألها الدعاء ليكشف الله عنه هذه الغمة .

• • •

وجىء بالرجلين .. وما كاد نسور الدين يراها حتى بهت .. وتراجع الى الوراء وراح يسمح عينيه .. حتى لا يكون بصره قد خدعه .. ولقد كاد لولا الوقار أن يصرخ صرخة ينشق



تحتة فأنكشف له أمر عجيب .. لقد
انكشف المكان تحت البساط الرائع
عن نفق محفور يمتد تحت الأرض
هيقا لا يتسع لأكثر من رجل واحد ..
ويمتد النفق عبر الطريق حتى يكاد
يصل الى قبر النبي الكريم العظيم .
لقد أصيب السلطان بما يشبه
الصرع .. وفارقه وقاره .. وأرسل
فى طلب الرجلين وأمر بضربهما ضربا
مبرحا مميتا حتى اعترفا بأنهما رجلان
من اليهود . وانهما قد كلفا من قومهما
بسرقه جثمان النبي محمد من قبره ..
حتى يكون للمسلمين من وراء ذلك ذل
وعار وانهما واصلا الحفر حتى أوشكا
ان يصلا الى القبر الشريف .

• • • •

أمر السلطان ان يحفر حول الروضة
من جميع اقطارها الأربع حتى يصل
الحفر الى الماء دون أن يقترب من
القبر الكريم او يكشف شيء منه .
ثم أمر ان يصب حول الحجرة النبوية
حائط سميك من الرصاص لا يلبس
بمرور الزمن ولا يصل اليه أحد أبدا
ورأى السلطان النبي العظيم يضرب
اليه ويماتقه .. وعاد السلطان مزير
المين راضيا وودعه أهل المدينة خير
وداع .

وقد عرّفوا شيئا جديدا من كيد
اليهود .. وحقدّم على رسول الله
وعلى كل مقدسات الاسلام .

أما السلطان فقد بدأ فى طريق
المودة وكأنه يسمح لأول مرة بما
توعدهم به الله فى محكم كتابه :
(واذا تأذن ربك ليعنن عليهم الى يوم
القيامة من يسومهم سوء العذاب) .
فقال فى نفسه : صدق الله العظيم
جزاء وافقا لما جبلوا عليه من القدر
والاجرام .

لها صدره .. لقد رأى الرجلين على
نفس الصورة التي بدت له فى الرؤيا .
وأرسل السلطان الى كل مكان فى
المدينة من يتصرى له أمرهما ..
فجاءت الأنباء تؤكد ما أجمع عليه الناس
من صلاحتهما وتقواهما وحبهما للعزلة
وللعباداة .. قال السلطان : أريد ان
أزورهما فى بيتهما .
ولما زارهما السلطان ازداد قناعة
بأنهما على خير ما يسدو على الناس
من حب الخير والبر . وازدادت مع
ذلك حيرة السلطان فى الأمر .. وقد
عرف أنهما لشدة حبهما لرسول الله
قد اتخذا بيتا يواجه القبر الشريف لا
يفصله عنه غير الطريق .. وبدت
للسلطان فكرة أن يفتش الدار وان
يبحث كل شبر من أرضها وجدرانها
عساه يقع على بيعة جديدة قبل ان
يترك المدينة .

ودبر والى المدينة اقامة حفل فى
جهة أحد .. على مسيرة بضعة أميال
من المدينة . وذهب بنفسه الى الرجلين
الصالحين الاثنتين يدعوها الى هذا
الحفل الذى سيقام تكريما للسلطان .
ولما ذهب الرجلان الى الحفل تأخر
السلطان وذهب بصحبة وزيره جمال
الدين الى بيت الرجلين .. وراحا
يفحصان كل شبر من الأرض وكل
جدار . وكان المكان مغمسا بالصحف
المنشورة والآيات المعلقة فى براويز
الذهب والفضة .. وهم السلطان ان
يبرح المكان حيران لا يدري من أمره
شيئا .. غير أنه عندما هم بالخروج .
رأى البساط الفاخر الملامس للجدار
يهبط تحت قدمه .. فأوحى اليه ذلك
أن يرفع البساط وأن يعالج الأرض من



الفتح الذي وحّد الجزيرة العربية

للاستاذ : محمد رجاء حنفي

يعدّ صلح « الحديبية » الذي عقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين « قريش » في أواخر السنة السادسة الهجرية أول مفتاح من مفاتيح هذا المعقل العتيق ، فقد أعلنت « قريش » في ذلك الصلح اعترافها بأن الرسول الكريم صاحب دين جديد ، وأنه لا مانع من أن توقع معه عهداً يستقر السلم بمقتضاه بينهما ، بعد عجزها العجز التام في القضاء عليه وعلى دعوته ، وبعد أن باءت جميع محاولاتها التي بذلتها في سبيل ذلك بالفشل .

لقد ظلت أعراسها طوالاً لا تعترف بالرسول صلى الله عليه وسلم ولا بما جاء به ، فدينه يخالف دينها وعقائدها ، وتقاليدها وآبائها وما توارثته عن أجدادها ، وهو قد قلب أوضاعها رأساً على عقب ولكنها ظلت على كبريائها وتعاضلها تفقرى على الرسول صلى الله عليه وسلم الأكاذيب ، وتنعت به تشاء من الأوصاف التي تشبّه سمعته ودعوته بين العرب ، فلها عجزت بكل وسائلها في القضاء عليه وعلى دعوته ، لم تر إلا أن تنزله منها منزلة الند من الند ، وأن تصالحه ولو إلى حين حتى تضمن أن تعيش معه في سلام .

ثم كانت عمرة القضاء في العام التالي لصلح « الحديبية »
 المفتاح الثاني من مفاتيح هذا المعقل ، فقد كان مظهر المسلمين في
 هذه العمرة وهم في توأدهم وتراحيمهم ، وفي حسن انقيادهم ودية
 نظامهم ، وفي اتلافهم وتضامهم ، وفي صدق محبتهم وإخلاصهم
 لرسولهم صلى الله عليه وسلم ، وفي قوة حماسهم لدينهم وشدة
 تمسكهم بأدابه وتعاليمه ، وفي بالغ تقديسهم للبيت الحرام وتعظيم
 حرماته ، وفي كل ما يؤدونه من شمائر هذه العمرة ، كان لظهور
 المسلمين في كل هذا أكبر الأثر في هز نفوس أهل « مكة » هذا عنيقا
 وفي لمس مكان العقيدة من قلوبهم ، فآخذوا ينظرون إلى المسلمين
 نظرة الإعجاب والتعظيم والإكبار ، وينظرون إلى الإسلام نظرة التفكير
 والتأمل والتدبر ، ويوازنون بين هذا الدين وبين ما هم عليه من عقيدة
 لا يقرّها عقل ، وتقاليد لا يقبلها المنطق ، ويقارنون بين عبادة
 المسلمين التي تمتاز بالروحانية والخضوع لله عز وجل ، وبين عبادتهم
 التي لا تستند إلى شيء ، وليس لها أساس تقوم عليه ، ويدخلها
 الكثير من اللغو والخرافات .

وعندما أبعثوا النظر في كل ما شاهدوه ، رأوا الفرق الكبير
 والمسافة البعيدة بين دين الرسول صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه ، فرقت له قلوبهم واستمعدت ، واستراحت نفوسهم
 وتهيات ، فأسلم الذين استطاعوا الجهر بالإسلام ، وأسرو الآخرون
 من المستضعفين اعتناقهم لهذا الدين ، وكان الكثير منهم قد تهينوا
 بنفسه وقلبه لأن يسلم ولكن منعه ظروف حائلة ، ومصالح مستعجلة
 مدة من الزمن ، فكل ذلك أحدث تخلخلا في دين أهل « مكة » الوثني
 أثناء عمرة القضاء ، وكان هذا من الأسباب التي هيأها الله لفتح
 « مكة » .

نقضي الصلح :

وشاعت إرادة الله عز وجل أن تزول بقية العقبات من طريق
 فتح « مكة » ، فكان ما حدث في السنة الثامنة من الهجرة ، من نقض
 « قريش » لصلح « الحديبية » .

لقد كانت هنالك خصومات ومشاحنات قديمة بين قبيلتي
 « خزاعة » و « بني بكر » من أيام الجاهلية ، ولكن نار العدواة بينهما
 خمدت بعد صلح « الحديبية » ، لدخول « خزاعة » في عهد الرسول
 صلى الله عليه وسلم ، ودخول « بني بكر » في عهد « قريش » ،
 فحل الأمن والسلم محل الحرب بين القبيلتين ، ولكن حادثا طرا
 جعل الحرب تشتمل ناراها من جديد بينهما ، ذلك أن أحد أفراد قبيلة
 « بني بكر » وقف ذات يوم يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم

على مسيح من رجل خزاعي ، فثارت ثائرتة وقام إليه وضربه ، فأعلنت قبيلة « بنى بكر » الحرب على خزاعة ، وأخذت تتأهب للانتقام ، وحرصهم على ذلك جماعة من « قريش » ، منهم عكرمة بن أبي جهل ، وبعض سادات « قريش » ، واندوهم بالسلاح . وفي ذات ليلة كانت « خزاعة » على ماء لها يسمى « الوثير » فهاجتها قبيلة « بنى بكر » ومن معها من « قريش » ، فلهجات « خزاعة » إلى الحرم تحتمى به ، ولكن ذلك لم يمنع قبيلة « بنى بكر » من مقاتلتها في المسجد الحرام ، فاستقرت « خزاعة » برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذهب وفد منهم إلى « المدينة » ، وعلى رأسه زعيمهم عمرو بن سالم ، وأخبروا الرسول الكريم بما كان من أمر هذا الغدر الذي اشتركت فيه « قريش » ، وكان مما قاله زعيمهم للرسول صلى الله عليه وسلم :

يا رب إني نائسك محمدا حلف أبيه وأبيننا الأثنا
قد كنتم ولدا وكنا ولدا ثمت أسلمنا فلم ننزع يسدا
فانصر رسول الله نصرا أبدا وادع عباد الله ياتوا مددا

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم وعيناه تدمعان :
« نصرت يا عمرو بن سالم » ، وفي رواية : « لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصرك به أنفسى » ، وعن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت :
« لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب مما كان من شأن بنى بكر غضبا لم أره غضبه منذ زمان » ، ثم قال الرسول الكريم لعمر بن سالم وأصحابه : « أرجعوا وتفرقوا في الأودية » ، فرجعوا وتفرقوا ، وكان عددهم أربعين راكبا ، وقد قصد الرسول صلى الله عليه وسلم بتفرقتهم إخفاء مجيئهم ، ورأى الرسول الكريم أن الوقت قد حان لفتح « مكة » ، فأخذ يستعد لهذا الفتح .

سفارة أبي سفيان إلى المدينة :

وقدّر الرسول صلى الله عليه وسلم أن « قريشا » ستدركه سوء ما صنعت ، وأنها ستترسل إليه من يقوم بإصلاح ما أفسدته الغدر بينها وبينه ، فقال لأصحابه : « كأنكم بابى سفيان قد جاءكم ليشد في العقد ويزيد في المدة » .
وحدث ما تنبأ به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد رأت

« قريش » أن تتدارك الأمر ، وأن تزيل ما تركته زيارة الوفد الخزاعي لـ « المدينة » من أثر في نفوس المسلمين ، فانتدبت أبا سفيان مفاوضاً من قبلها لزيارة « المدينة » ، وللسعى لحل الخلاف سلمياً ، وإيقضاء عهد « الحديبية » نافذاً محترماً ، ويمدّ في مدته إذا أمكن ذلك ، فقد ذاق « قريش » بواسطته طعم الهدوء والراحة بعد أن حرمت منهما أحوالاً طويلاً ، فعكفت على العناية بتجارتهما ومصالحتها الاقتصادية ، ووصل أبو سفيان إلى « المدينة » ، وقصد أول ما قصد منزلاً ابتغاه أم حبيبة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لئلا يسمعه بخطرته المهمة المكلف بالقيام بها ، فأثر ألا يذهب إلى الرسول الكريم رأساً قبل أن يهتد الطريق لمقابلته .

وعندما أراد أبو سفيان الجلوس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فاندھش من هذا التصرف وسأله : أرغبت به عن الفراش أم رغبت بالفراش عنه ؟ فأجابته بأنه فراش الرسول الكريم ولا يجدر بالمشركون من أمثاله الجلوس عليه ، فوقع هذا الكلام على نفس أبي سفيان وقعا اليأس ، فلم يكن يتوقع هذا من ابنه أقرب الناس إليه ، وخرج من عندها مصدوماً ، حزين النفس جريح الفؤاد ، ثم ذهب إلى المسجد فزار الرسول الكريم وكتبه فيما جاء لأجله ، وعرض عليه أن يمدّ أجل الهدنة ، واعتذر عما حدث من قبيلة « بنى بكر » لقبيلة « خزاعة » ، فأعرض الرسول صلى الله عليه وسلم عنه وأبى أن يجيبه أو أن يناقشه ، فكانت هذه الصدمة أنكى وأمر من الأولى ، فخرج من المسجد وهو أشد ما يكون ذلاً وانكساراً وذهب يستشفع بأصحاب رسول الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذهب إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه — فرفض معذراً في لطف ، فتوجه إلى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فأغلظ له في الرد ، وقال له في جفاء : « أنا أشفع لكم إلى رسول الله ؟ ! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به » ، فخرج من عنده إلى علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — ، وكتبه كلاماً رقيقاً ليثارة عاطفته ، فقال له : « يا علي : إنك أمست القوم بى رحماً ، وقد جئتكم في حاجة فلا أرجعن كما جئت خائباً ، فاشفع لى » ، فأجابته معذراً ، وفشلت بذلك سفارة أبي سفيان .

الاستعداد لفتح مكة :

أصدر الرسول صلى الله عليه وسلم عقب سفر أبي سفيان أمرا بالتعبئة العامة ، وأشار بأن تكون سرية ، وأرسل إلى البدو ومن حولهم من الأعراب ليحضروا رمضان بمكة المدينة ، فاستجابت القبائل لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتدفقت على المدينة وعسكرت برياضها ، ولشدة حرصه على ألا يريق دما بمكة ألقى وجهته عن المسلمين ، وأمر بوضع حراس على أبواب الطرق ومداخل البلاد يحرسونها ، ويردّون عنها من لا يعرفونه ، فلا يغفلت أحد ولا يصل إلى قريش خبر .

وبعد أن اكتمل جمع المسلمين أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالتبهيؤ والاستعداد ، وسأل الله عز وجل أن يأخذ العيون والأخبار على قريش ، فلا تعلم بتحركه حتى يفتحنها في بلادها .

خطا غير مقصود :

وبينما الجيش على أهبة السير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم فيه بما اعتزم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستأجر امرأة من مزينة تدعى سارة ، وأعطاهم الكتاب وأمرها أن تتلف وتحمل حتى تبلغه إلى قريش فأخذت سارة الكتاب وأخفته ، واستطاعت أن تخرج به من المدينة واتجهت في طريقها إلى مكة ، وأتى الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما فعل حاطب ، فأرسل في إثر سارة على أبي طالب والزبير بن العوام ، فادركاها في الطريق واستخرجا منها الكتاب ، وأحضراه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فدعا الرسول الكريم حاطبا وأطلعته على الكتاب الذي أرسله ، ثم قال له : ما حملك على هذا ؟ ، فأيقن حاطب أنه هالك لا محالة ، وأنه لا نجاة له إلا بإخبار الرسول الكريم عن الدافع الذي دفعه إلى ارتكاب هذا العمل ، فقال : يا رسول الله : لا تعجل علي ، فوالله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكنني كنت أسرا لبيش في القوم من أهل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانتمهم عليه ، وكان من معك من المهاجرين — ممن له أهل أو مال بمكة — لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم ، فأجبت — إذ فانتى النسب

في قريش - أن اتخذ عندهم بدا يحبون بها قرابتي ، ولم أعلمه
ارتدادا عن ديني ، ولارضا بالكفر بعد الإيمان .

ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم في لهجة حاطب أمارات
الصدق وسلامة النية فيما أقدم عليه ، فقال لمن حوله : « أما إنه قد
صدقكم فيما أخبركم به » ، وقد عفا عنه الرسول الكريم نظرا لتاريخه
وماضيه المشرف في الدفاع عن حرمة الإسلام .

مسيرة الجيش :

استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر الغفصاري
رضي الله عنه على « المدينة » نائبا عنه ، وخرج منها في عدد من
المهاجرين والأنصار والوافدين على « المدينة » من القبائل يبلغ نحو
عشرة آلاف مقاتل ، في اليوم الثامن من شهر رمضان من السنة
الثامنة للهجرة ، وتحرك هذا الجيش الفخم المنظم ، الموحد القيادة
والغاية ، عبر الصحراء الواسعة قاصدا « مكة » ، وسار يطوي
الغياض والقفار والمسلمون صائمون ، وهم جد حريصين على كتمان
أمرهم وإخفاء خبر مسيرهم حتى وصلوا إلى « مر الظهران » ،
فاستقر الجيش فيه وضرب مخيمه استعدادا للعمل العظيم الذي
ينتظره ، ولما كان وصول المسلمين إلى هذا المكان في المساء ، فقد
أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بإثسعال النيران في
مواضع نزولهم ، فأشعلوا عشرة آلاف شعلة بعدد أفرادهم ، فبدأ
نورها ساطعا يضيء ظلام الصحراء ، ويتلألأ في فضاءها الواسع
حتى جعل ليلا نهارا .

وغم على زعماء « قريش » أمر المسلمين ، وانقطعت أخبارهم
عنهم ، ولما كانوا واثقين من أنهم لن يتركوهم وأنهم سينتقمون منهم
لاعتدائهم على قبيلة « خزاعة » ، فقد أفلتهم عدم معرفتهم ما يدبر
في « المدينة » .

وغادر أبو سفيان « مكة » في نفس الليلة التي نزل فيها
المسلمون « مر الظهران » ، ومعه حكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ،
ليستقظوا أخبار المسلمين ، فشاهدوا النار التي أشعلها المسلمون ،
واسترعت نظر أبي سفيان ، وتوقع بديل أن تكون هذه النيران نيران
« خزاعة » ، ولكن أبو سفيان استبعد ذلك ، لأن « خزاعة » في نظره
أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وهذا عسكرها .

وكان العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم قد خرج بأولاده مهاجرا إلى « المدينة » لينضم إلى ابن أخيه ، فالتقى به نسي الطريق ، فبعث بأهله إلى « المدينة » ورجع مع الرسول الكريم ، وقد كان هذا اللقاء بين الرسول الكريم وعمه مصادفة مباركة حقن الله عز وجل بها الدماء ، ويسر الأمور ، وظل بها الصعاب في طريق الفتح على مكان يحب ويرجو رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وخشي العباس على أهل « مكة » من نتائج هذه الحملة المباغتة ، فآخذ يفكر فيما سيعترب لو حدثت مقاومة من « قريش » لجيش المسلمين ، حتما ستكون هناك خسائر في الأرواح ، ورأى الدمار وشيك الوقوع بساحة « قريش » ، فراود الأمل نفسه في أن يهديه الله حيلة يمنع بها الكوارث التي تكاد أن تحل بهم ، فركب بغلة الرسول صلى الله عليه وسلم وخرج من معسكر المسلمين قاصدا « مكة » ليخبر « قريشا » بالجيش الضخم الذي جاء لقتالهما ، فيؤثر بذلك في معنوياتها ويضطرها إلى التسليم بدون قتال ، فتحقق بذلك ماؤها ، وتنجو من معركة ليست في صالحها على الإطلاق ، فسمع وهو في طريقه إلى « مكة » حديث أبي سفيان مع صاحبيه ، فناداه العباس وطلب منه أن يركب معه ليأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه له فوافق أبو سفيان على طلب العباس ، فأردفه وراءه ورد صاحبيه إلى « مكة » وسار به حتى وصل إلى خيمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأنزله وأسرع به إلى داخل الخيمة ،

إسلام أبي سفيان :

وفي الصباح جاء بأبي سفيان إلى مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبمسامحة من كبار المهاجرين والأنصار قال له الرسول الكريم : « ويحك أبا سفيان . ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ » فقال أبو سفيان : « ما أحلمك وأوصلك ، والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره ما أغنى عنى شيئا » ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أتى رسول الله ؟ » ، فقال أبو سفيان : « أما هذه فوالله إن في النفس منها الآن شيئا » ، فتدخل العباس وقال له : « ويحك . أسلم قبل أن تضرب عنقك » ، فأسلم .

وطلب العباس من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجعل لأبي سفيان شيئا لأنه يحب الفخر ، فأعلن الرسول الكريم أن من دخل

دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابيه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن .

رجوع أبي سفيان إلى مكة :

عاد أبو سفيان إلى « مكة » مبهورا مذعورا ، وهو يشعر أن من وراءه إعصارا مدمرا إذا انطلق اجتاحت « قريشا » وقضى عليهما القضاء المبرم ، وشاهد أهل « مكة » القوات الإسلامية تقترب منهم ولم يكونوا حتى ذلك الوقت قد استقر رأيهم على قرار حاسم ، فاجتمعوا بسادتهم ينتظرون منهم الرأي الأخير ، فإذا بصوت أبي سفيان يرتفع مجلجلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أتى « قريشا » بما لا قبل لها به ، وأنه من الخير لهم أن يستسلموا بدون قتال ، ثم أعلن أن من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقامت زوجته هند وجذبتة من لحيته وقالت : « اقتلوا هذا الشيخ الأحق » فبش من طليعة القوم « ، فلم يكثر أبو سفيان بما صنعتهم وقتلته وقال : « ويلكم ! لا تفرنكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » ، فردوا عليه بقوله : « قاتلك الله ! وما تغني عنا دارك ؟ » ، فأكمل : « ومن أغلق عليه بابيه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » ، ففترقوا مذعورين إلى بيوتهم وإلى المسجد .

تطويق مكة ودخولها :

وعندما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى « ذي طوى » ، واقترب من أبواب « مكة » فرق الجنود والقادة على مداخلها وأحاط بها من كل جانب ، ثم أمر الزبير بن العوام أن يدخل « مكة » من جهة الشمال بمن معه من الجنود ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل بفرقته من الأنصار من الغرب ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل بفرقته من الجنوب ، وأمر أبا عبيدة بن الجراح أن يدخل بفرقته من المهاجرين من الشمال الشرقي من جبل « هند » ، وقاد الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه مؤخرة الجيش .

ودخلت القوات الإسلامية « مكة » بلا مقاومة تذكر ، والرسول القائد على ناقته « القصواء » في غير تكبر ولا تجبر ولا خلاء ، بل في تواضع وخشوع لله عز وجل ، وهو يذكر يوم أن خرج مع صاحبه مهاجرا ، وأكب الرسول صلى الله عليه وسلم على رحل ناقته حتى كاد رأسه الشريف يلمس وسط الراحلة ، شاكرا الله عز وجل على ما تفضل به عليه من هذا الفتح العظيم ، وما من به عليه من هذه النعمة الجليلة .

وظل الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح حتى وصل الى الكعبة ويصحبته المسلمون ، فاستلم الركن بعصا كانت في يده وكبر ، فكبر المسلمون بتكبيره حتى ارتجت لتكبيرهم أرجاء « مكة » ، فإشار الرسول صلى الله عليه وسلم أن استكوا ، ثم أخذ يطوف بالبيت وهو على ناقته ، وفي كل مرة من طوافه يستلم الحجر الأسود بعصاه إلى أن استكمل الطواف ، وبعد أن فرغ من طوافه نزل من على ناقته ثم سار إلى مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام فصلى فيه ركعتين ، ثم اتجه إلى زمزم فشرب منها وتوضأ ، والمسلمون ممن حوله كل منهم يود أن يأخذ ماء وضوئه ، وجعلوا يصبونه على وجوههم ، والمشركون ينظرون ويتعجبون لما يرون ويقولون : « ما رأينا ملكا أبلغ من هذا ولا سمعنا به » .

ثم جلس الرسول صلى الله عليه وسلم في جانب المسجد ، وأبو بكر الصديق واقف وراءه متقلدا سيفه ، ودعا عثمان بن طلحة ففتح له الكعبة ، فدخل وصلى بهاركتين ، ثم وقف على باب الكعبة وقال : « لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ، ثم أتى خطبة طويلة بين فيها الكثير من مبادئ الإسلام ، ثم قال : « يا معشر قريش : إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمتها بالآباء ، الناس من آدم وآدم من تراب » ، ثم قرأ قوله عز وجل : « يا أيها الناس : إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إنا أكرمكم عند الله اتقاكم ، إن الله عليم خبير » ، ثم قال : « يا معشر قريش : ماذا تقولون ؟ وماذا تظنون اني فاعل بكم ؟ » ، وقالوا : « خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم » ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « تولوا » قال أخى يوسف : لا تزريب عليكم اليوم ، يفقر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا فانتم الطلقاء » .

وقد كان من أثر هذه السياسة الرشيدة الحبيدة أن كسب الرسول صلى الله عليه وسلم قلوب أهل « مكة » ، فأقبل على الإسلام فتيان « قريش » وشيوخها ونساءها ، ولم يحجم عنه إلا البعض من الذين أكل الحقد قلوبهم وملا البعض نفوسهم ، ثم لم يلبثوا طويلا حتى دخلوا في الدين الجديد بعد أن شرح الله عز وجل صدورهم للإسلام وصاروا من حماة الدين ومن خير المدافعين عنه .

هدم الأصنام :

دخل الرسول صلى الله عليه وسلم « مكة » يوم الفتح وعلى الكعبة ٣٦٠ صنبا ، لكل حي من أحياء العرب صنم قد شددت أقدامه بالرصاص ، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم بقضيب من الحديد

واخذ يهوى به على كل صنم منها فيختر على وجهه والرسول الكريم يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ، وأمر بكسر « هبل » وكان في داخل الكعبة ، وأحرقت وحيت كل صورة بالكعبة وأخرجت صورة سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي كان مصورا وفي يده الأزام يستقسم بها ، فنظر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم مليا وقال : « قاتلهم الله ، جعلوا شيئا يستقسم بالأزلام . ما شأن إبراهيم والأزلام ؟ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين » ، وبذلك طهر البيت الحرام من الأصنام والصور .

ثم أخذ الناس يبایعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، فكان ممن أسلم في هذا اليوم معاوية بن أبي سفيان ، وأبو تحافة والد أبي بكر الصديق ، وقد سرت الرسول صلوات الله وسلامه عليه سرورا عظيما بإسلامه .

ثم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة الشريفة ، فانطلق صوته يدوي : الله أكبر . الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، وخشعت الأبصار من كل جانب ، واتجهت الألوف إلى الكعبة حرم الله الأمن ، يستقبلونها في صلاتهم خاشعين ، فكان يوما مجموعا له الناس ويوما مشهودا ،

نتائج فتح مكة :

الواقع أن فتح « مكة » لم يكن خاتمة الفضال بين المسلمين و « قريش » وحدها ، وقد امتد واحدا وعشرين عاما تقريبا ، ثلاثة عشر عاما قبل الهجرة ، وثمانية بعدها ، بل كان خاتمة الفضال في جميع بلاد العرب ، ووسيلة لاتساع نطاق الإسلام وانتشاره في داخل « الجزيرة العربية » وخارجها ، فلم يطل الوقت على القبائل القاطنة في شرق « الحجاز » وكانت تلقزم سياسة الحياد في الصراع الدائر بين « مكة » و « المدينة » ، حتى اقتبلت وغسودها تتسابق على « المدينة » تعلن إسلامها وانضمامها إلى الدولة الجديدة بحض رغبتها واختيارها ، ويدون ضغط أو إرهاب .

وفتحت أبواب « مكة » لدعوة الإسلام ، فانهدم حصن الشرك العتيق ، وانهار ذلك السد المنيع الذي قام في وجه الدعوة منذ قامت . ومنذ ذلك اليوم صارت « مكة » كعبة الإسلام ، وقبله المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وستظل كذلك إن شاء الله إلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها .

الفتاوى

مرض الربو

السؤال :

رجل مريض (بالربو) مرضا مزمنًا ، ووصف له دواء يخفف عنه وطائسه
بتعاطاه من وقت لآخر وإذا توانى فى تعاطيه ، يحصل له ضرر جسمانى عظيم ،
فهل يباح له الفطر ؟

الإجابة :

يجوز له الفطر شرعا فى هذه الحالة ، وعليه القضاء بعد زوال المرض ،
والله أعلم .

القرحة المعوية

السؤال :

رجل أصيب بقرحة فى أمعائه ، وقرر الأطباء ، أنه لا يصح أن يدع الطعام
فترة تزيد على خمس ساعات ، بحيث إذا تركه فيها تعرضت حياته للخطر ، فهل
يجوز له شرعا ، أن يفطر رمضان ، وهل يجوز أن يؤخر قضاء ما فاتته من صومه
إلى أن يتم برؤه ؟

الإجابة :

يباح شرعا لهذا المريض فطر رمضان وتأخير قضاء الصوم الواجب عليه
إلى أن يتم شفاؤه من مرضه ، وقد أخبر الأطباء الحاذقون أن من جوع المصاب
بهذه القرحة خطرا عظيما عليه ، وأنه لا يصح أن يدع معدته خاوية ، وأنه يلزم
ألا يقل عدد أكلاته فى اليوم والليلة عن ست ، وقد رخص الله للمريض بأقل من
هذا المرض فى الفطر : (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) .
والدين يسر لا عسر ، فإذا كمل برؤه قضى ما فاتته ، قال تعالى : (فمن كان
منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) .

الصيام في السويد

السؤال :

نحن مسلمون منتدبون للعمل في بلاد السويد ، وستضطرننا هذه الأعمال الاميرية لقضاء شهر رمضان الكريم في هذه البلاد - وكما لا يخفى فان الشمس في بعض الشهور تشرق في الساعة الثانية صباحا وتغرب في المائتة مساء تقريبا ، اى فترة غياب الشمس حوالى اربع ساعات فقط ، ونحن لسنا من اهل البلد نفسها ، وحاولت الصيام في ٢٧ رجب و ١٥ شعبان وتمعت ، ولكن لم يفت من عزيمتى وعزيمة اخواني ولكن راينا ان نستشير فضيلتكم بما ينبع ، ونستفتى منكم الحكمة والمشورة الى سواء السبيل ، ففرجو الافادة عما ينبع بالصيام او عدمه وهل في الامكان صيام بعض الايام على قدر الامكان ؟؟ .

الاجابة :

انه يجب على المستفتى واخوانه الذين ورد ذكرهم في السؤال الصوم ما لم يغلب على ظنهم حصول مرض بالصيام بتجربة او اشارة اخرى فاذا غلب على ظنهم ذلك ، جاز لهم الفطر على ان يقضوا في ايام اخر ، وليس بلازم في قضاء ما افطروه ان يكون في ايام متتابعة .

مريض بالسل

السؤال :

انا مريض بالسل من نحو سنتين ، ومنعنى الطبيب من الصوم منذ مرضت ، فما حكم السنتين ، مع العلم بانى غير قادر على الفدية ، وهل يجوز لى ان اصوم ثلاثة ايام من كل شهر لا قصى ما على ، وانا لا ازال مريضا وتحت العلاج .

الاجابة :

اما بعد فتقيد اللجنة بان المريض الذى يتضرر بالصوم بان يزيد مرضه بالصوم او يتأخر برؤه منه لو صام ، لا يخلو أمره من حالتين - الاولى : أن يكون شفاؤه مرجوا - وحكيه ان له أن يفطر في رمضان ويقضى ما قدر عليه بعد الشفاء ، ولا يجب في القضاء التتابع ، ولا فدية عليه ، فاذا مات قبل الشفاء فليس عليه شيء - والثانية : ان يكون المريض لا يرجى شفاؤه كالشيخ الفانى الذى فنيت قوته ويشس من رجوع قدرته على الصوم ، فلا يجب عليه الصوم ، وعليه الفدية لكل يوم نصف صاع من تمح أو قيمته ، فان لم يقدر على الفدية بان كان معسرا لم تجب عليه ، واذا شفى المريض الذى كان لا يرجى شفاؤه وجب عليه أن يقضى ما قدر عليه من الايام .

هذا وتضرر المريض بالصوم يعرف بغلبة الظن بناء على تجربة او اخبرار طبيب يوثق به ونحو ذلك ، وبهذا علم الجواب عن السؤال والله اعلم .

اعداد : عبد الحميد رياض

صورة الفلاف
للمدد ١١٥

كانت صورة الفلاف للمدد ١١٥ لشهر رجب ١٣٩٤ هـ - يوليو ١٩٧٤ صورة لقسم من المسجد الابراهيمي في مدينة الخليل الصاعدة بفلسطين . وهذا القسم خاص بالقبة المحمولة على قاعدة مربعة تحملها اربعة اعمدة رخامية حول فتحة الفار الشريف يطل عليها شيخ سدة المسجد الابراهيمي .
والى جانب هذه القبة اخذت اللقطة قسما من السدة التى يجلس عليها المبلغ يوم الجمعة .
وقد ظهرت فى الصورة ايضا صور بعض اهالى المدينة بزيهم الخاص المتميز .
وظهرت ايضا فتحة الباب المؤدى الى حجرة ما بين مقامى خليل الله ابراهيم عليه السلام وزوجته السيدة سارة رضى الله عنها .
ويبدو ان اللقطة اخذت قبل عام ٦٧ لظهور السجاد يغطى ارضى المسجد علما بان ارضى المسجد قد جردت من السجاد بعد تدنيس الكفرة الفجرة لبنت الله .
وقد كتبت المجلة على جانب الصورة من الداخل عبارة (احد المساجد الفخمة فى دمشق) ..

عبد السلام عمران ابو شيخيدم
السعودية

التوبة بلا بسطة لماذا ؟

لماذا لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم فى اول سورة التوبة كبقية سور القرآن الكريم ؟

وهل هناك سبب لوجودها فى الترتيب بعد الانفال ؟
محمد عبد الخالق مسعود - القاهرة

من البين أن سورة التوبة كتبت دون بسملة في مصحف سيدنا عثمان بن عفان ، وهو المصحف الامام الذي جمع في خلافته رضى الله عنه ، ووزعت منه نسخ على الامصار دون اعتراض من الصحابة ، او انكار منهم ، فعد هذا الرضا من الصحابة اجابا منهم ، وقبولا لوضع سورة التوبة بدون بسملة .

وفي رواية النسائي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قلت لعثمان رضى الله عنه ما حملكم ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني ، والى التوبة (براءة) وهي من المثني ففرقتم بينهما ، ولم تكتبوا سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتموهما في السبع الطوال فما حملكم على ذلك ؟ قال عثمان : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه النسخ يدعو بعض من يكتب عنده فيقول « ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » ، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين انها منها ، فظننت انها منها ، فمن ثم قرنت بينهما ، ولم اكتب بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) .

وقد وضح من سياق الحديث السابق هذا ان التوبة قد تركت بدون بسملة ، وقرنت بالانفصال ولم يفصل بينهما على عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعهد الصحابة رضوان الله عليهم ، وان وضع السورتين هكذا في السبع الطوال من القرآن الكريم يؤكد انها نزلتا منزلة واحدة واصبحتا كالسورة الواحدة ، ولذلك كانتا تدعيان بالقرينتين .

وهناك قول آخر يقول انها سورة واحدة ، تركت بينهما فرجة ، ويقول القرطبي (انه كان من شأن العرب في الحاهلية اذا كان بينهم وبين قوم عهد فاذا ارادوا نقضه كتبوا اليهم كتابا ولم يكتبوا فيه البسملة فلما نزلت سورة التوبة بنقض العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم والمشركون بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم على بن ابي طالب رضى الله عنه فقرأها عليهم في الموسم ولم يبسل في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهد من ترك البسملة .

وفي رواية اخرى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : سألت على ابن ابي طالب لم لم يكتب في التوبة (بسم الله الرحمن الرحيم) قال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان ، والتوبة نزلت بالسيف ، فليس فيها امان . وقال المبرد لم تكتب بسم الله الرحمن الرحيم لانها رحمة ، وبراءة نزلت سخطا او بسخطه .

ويقول القشيري (ان سورة براءة لم تكتب في اولها بسم الله الرحمن الرحيم لان جبريل ما نزل بها في هذه السورة ، وفي قول سيدنا عثمان قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها دليل على ان السورة كلها انتظمت بقوله وتبينه ، وان براءة ضمت الى الانفال من غير عهد من النبي صلى الله عليه وسلم لما عاجله من الحمام قبل تبينه ذلك ، وكانت تدعيان القرينتين فوجب ان تجعما ، وتضم احدهما الى الاخرى ، للوصف الذي لزمهما من الاقتران ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم هي) .

كما ان هناك وجه شبه بين السورتين فالانفال من اول ما نزل بالمدينة ، وبراءة من آخر ما نزل بالمدينة ، والمعمول عليه في القول بالنزول هو اول السورة ، اذ المعلوم ان بعض السور ظل مفتوحا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما تنزل الآية يقول ضعوها في مكان كذا من السورة كذا .

هذا ما قيل حول ترك (بسم الله الرحمن الرحيم) في اول براءة ، وبين علاقتها بالانفال .

بأقلام القراء

(شهر رمضان شهر القصفية الروحية)

ان المسلمين في جميع بقاع الارض يحتفلون بقوم شهر رمضان ، ويعلمون ابتهاجهم بهذا الشهر العظيم وحق لهم ان يحتفلوا ويتهنؤوا لانه شهر حافل بالخيرات مغمور بالبركات قصومه ركن من اركان الاسلام الخمسة ودعاة من دعائم الدين التي يقوم عليها ، والله سبحانه لا يفرض فرضا ولا يقدر امرا الا وله حكمة سامية وسر عجيب يدركه العقل الرشيد ، ويقدره من سمى أفكاره ورسخ ايمانه واستقرار عقله .

وها هو الصوم وسره ، وشهر رمضان وفضله ، فالصوم كف النفس عن عن شهوتي البطن والفرج ، واذا ما كف الانسان نفسه عن هاتين الشهوتين كان ملكا وعيدا لله مخلصا ، واستحق شرف العبودية التي يعينها الله في قوله : (**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**) .

اله هذا شأنه يفار على عبده هذه الفيرة فوق نعمه المتتالية ظاهرها وباطنها ، (**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**) ومن هذه النعم مرضه الفرائض التي يعود نعمها على العباد خاصة ، فالصوم من طبيعه يحول بين المرء وبين امتلاء المعدة التي هي علة العلل ، وقد قال طبيب العرب حارث بن كدة « ان المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء » قال بعض الحكماء « الدواء الذي لا داء معه الا تاكل الطعام حتى تشتهي وان ترفع يدك عنه وانت تشتهي » ومن غير شك ان في حفظ الجسوم حفظا لكيان الأمم والشعوب وهناك فائدة أخرى تنجم عن الجوع وهي المحبة والوثام بين الناس بل وبين العبد وربّه فان الانسان عندما يشعر بالجوع وشدة الظأ يحصل له الذلة والانكسار ، وعندئذ يشعر بحاجة لمولاه فيتواضع لبارئه الذي خلقه وسواه وي طرح رداء الكبر والعظمة فانهما من صفات الله جل جلاله حيث يقول (**الكبرياء رذائي والعظمة ازاوي فمن نازعني فيهما قصمته ولا ابالي**) (١) .

واذا ما ترك العبد هذا لمولاه شعر بانه محتاج لسواه ليعطف على الناس ويتودد اليهم واحسن من الجوع ولوعته بحاجة الفقير الى الطعام ، فكان الناس وتتنزأ اخوانا متحابين وكانوا كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخاري ومسلم عن النعمان ابن بشير .

(١) رواه مسلم وابو داود وابن ماجه عن ابي هريرة بلفظ الكبرياء رذائي والى وبقيصة الحديث : القيته في النار .

قيل ليوسف الصديق عليه السلام « لم تجوع وانت على خزائن الارض حفيظ ؟ قال
اخاف ان اشبع فانسى الجائع » فالجوع يدفع صاحبه الى البر والاحسان ،
وشهر رمضان هو الموسم لمن اراد الرزح العظيم .

فقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اجود الناس
بالخير وكان اجود ما يكون فى رمضان حين يلتاق جبريل عليه السلام وكان جبريل
عليه السلام يلتاقه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبى صلى الله
عليه وآله وسلم القرآن فاذا لقيه جبريل عليه السلام كان اجود بالخير من الرزح
المرسلة . رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس .
والصوم هو الوسيلة العظمى فى تربية ملكة الصبر واحتماله المكارة ،
والصبر ملاك الفضائل .

فهو السلام - الذى يكافح به الانسان ويجاهد حتى يظفر بمناءه فى دنياه
واخراه ، وقد قيل « الصبر نصف الايمان » رواه ابو نعيم فى الحلية والبيهقى فى
شعب الايمان عن ابن مسعود .

ووصى به القرآن الكريم فى التنزيل اكثر من سبعين مرة وحسبك من ذلك
قوله فى شأنه (**انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب**) (الزمر) .

ومن حق الصائم ان يكف جوارحه عن جميع الاثام حتى يكون صومه مقبولا ،
نيفض البصر عما حرمه الله ويكف اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والخصومة
والفحش والجفاء والسمع عن الاصفاء الى ما هو محرم . وقال الامام البيضاوى
« ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر
الشهوات وتطويع النفس الامارة بالسوء فاذا لم يحصل له ذلك لا ينظر الله
اليه نظر قبول ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من لم يدع قول الزور والعمل
به فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه (٢) هذا مجاز عن عدم القبول
فنفى السبب واراد المسبب ا هـ . لانه بترك الطعام والشراب قد اتى بجسمه ا و
وبفعله المحرم قد اذهب روحه . والصوم بلا روح غير مقبول كجسم بلا روح
فهو غير موجود والغاية من العبادات روحها انظر الى قوله تعالى : (**يا ايها
الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**)
فالغاية من فريضة الصوم هى تقوى الله لا مجرد ترك الاكل والشرب . و
عليه الصلاة والسلام « الصيام جنة » اى وقاية للجسم والروح من الشر
والشور .

وقد اختار الله هذا الشهر المبارك للصوم من ان عدة الشهور عند الله اثنا
عشر شهرا ، لانه عند الله طيب مبارك فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فى شهر رمضان ونزل عليه جبريل عليه السلام وهو يتعدى فى غار حراء
فى هذا الشهر ، فهو شهر مبارك حيث ابتدأت فيه دعوة الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم الى الخلق لاتباع الحق ، وظهر نور الاسلام فى طول البلاد وعرضها ،
وفيه نزل القرآن الكريم الذى طمس معالم الباطل ورفع لواء الحق (**شهر رمضان
الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**) (البقرة - ١٨٥) .
وفى هذا الشهر ليلة القدر التى هى خير من الف شهر ، قال الله تعالى
(**ليلة القدر خير من الف شهر**) . تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر .
سلام هى حتى مطلع الفجر) .

الدكتور السيد عبد الله بن عبد القادر بلقبة

(١) اخرج مسلم والنسائى عن طريق سفيان بن عيينة عن ابي الزناد عن الاصمرج عن ابي
هريرة .

(٢) رواه البخارى واحد والبخارى عن ابي هريرة .

قالت صحف العالم

فكرى الحريق

فى حومة الصراع الدائر بيننا وبين اليهود تشكل القدس والمسجد الأقصى حجر الزاوية فى هذا الصراع ، فليست أرض فلسطين شسبنا لولا ارتباطها العقائدى عند المسلمين والنصارى واليهود على السواء ، لأنها أرض الاسراء والمعراج وبلد الانبياء والمرسلين ، ومهبط رسالة عيسى ، وموطن الاشعاع الحضارى الاسلامى عبر القرون ، من أجله تخضبت الأرض بنجيع الدم الزكى وشهدت المعارك الكبيرة والحروب العنيفة وظلت مسرحا للأحداث الكبرى ، والصراعات المستمرة ، دهرا بعد دهر .

وواضح مخطط اليهود الرهيب فى تهويد القدس وتحويل المسجد الأقصى الى هيكل ، ليعيد ما زعم من هيكل سليمان وأوضح منه ، ان اسرائيل حكومة وشعبا ، فرقا وأحزابا ، لاتدخر وسعا فى استعمال اية وسيلة مشروعة او غير مشروعة لإزالة المسجد الأقصى وتهويد الاقصة المقدسة ، وإزالة اى معلم حضارى اسلامى فى القدس ، فمن عبث القول ان نفيض فى بيان المخططات الرهيبة للتهويد والاستيلاء على المسجد الأقصى والمقدسات جميعا ، وقد أعلنتها اسرائيل وعلّمها القاصى والدانى ، وإنما الذى نقوله فى فكرى حرق الأقصى كلمة مرة مرارة الذكري ، واضحة وضوح النار التى التهمت جدرانها .

لقد عقد ملوك المسلمين ورؤساؤهم عقب حرق الأقصى مؤتمر القمة فى الرباط ، وتبع ذلك مؤتمرات على مستوى القمة او مستوى وزراء الخارجية ، وصدرت قرارات ، وتوصيات ، وتمت لقاءات .

ولم يكن ثمة اى تحرك فعلى لمنع التهويد باستثناء الاحتجاجات الصارخة لدى المحافل الدولية على انتهاكات اسرائيل واعتداءاتها على القدس والمقدسات . لقد حرق المسجد الأقصى ، وتمت الحفريات الارضية بجوار جداره ، وتصدعت ابنية اسلامية تصور الطابع الحضارى للقدس ، وجرت محاولات متعددة لحرق المسجد ، وبذلت جهود يهودية ضخمة ، وقدمت اغراءات مخيفة لزعة صمود اهل القدس والقائمين على شئون المسجد الأقصى من العلماء والموظفين ، ولم تبذل اية دولة عربية او اسلامية اى جهد مالى او معنوى لتثبيت

اهلنا في القدس او لمنع اجراءات التهويد فيها . او حراسة المسجد الأقصى والحيولة دون محاولات الحرق والتخريب مرة أخرى .

إن تحرير القدس والمسجد الأقصى ، وما احتل من ارض فلسطين ، امر لا بد منه ، وهو آت طال الزمن او قرب والى ان يتم التحرير السياسي للقدس واعادتها عربية إسلامية ، لا بد من مقاومة التهويد بمثل الاجراءات التي تمارسها سلطات الاحتلال ، ولا بد من الحفاظ على المقدسات ولا سيما المسجد الأقصى ، والحيولة بينها وبين التخريب والتهويد .

وثمة وسائل متعددة ايجابية ينبغي ان تبذل لمنع التهويد والتدويل ، ولحمية المسجد الأقصى ، نذكرها في ذكرى حريق الأقصى عسى ان يفكر اخواننا في البلاد الإسلامية عامة والارضية خاصة ، في العمل الايجابي الجاد الى جانب ما يبذل من جهد سياسي وسياسي يوم التحرير من رقة الاحتلال الاسرائيلي البغيض .

إن المسجد الأقصى بحاجة الى تعمير وترميم ، وقد أعدت مشروعات ضخمة ، تحتاج الى مد يد العون لهذا الاعمار ، وهناك كثير من اراضي القدس يتعرض اصحابها للاغراءات والضغوط لبيعها ويمكن ان تشتري وتسجل وقفا يحول دون تسربها الى اليهود او الايدي المشبوهة ، ويحتاج ذلك الى ان يقدم اخواننا من القادرين في البلاد الإسلامية والعربية الى إنقاذها .

وإن ذكرى حرق المسجد الأقصى يجب ان لا تمر بدون هذا العمل الايجابي لمن اراد ان يعمل مرتفعاً فوق الخلافات والاهواء متسامياً على الفسقات والحزاقات ، والمسجد الأقصى والقدس درة العالم الاسلامي ، ومهوى افئدتهم ، ومطمح انظارهم ، وبقاؤه في ايدي الاحتلال ، ورؤيته سليماً يعنى عليه ويعمل لإزالته ولا تقوم باى عمل ايجابي ، يعنى الضياع ، والإثم ولعنة الله ، والاجيال على من فرط وضع .

عن مجلة (اللواء) الاردنية

ترجمة قاديانية محرفة لمعاني القرآن الكريم

حضرت رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة المنظمات الاسلامية في العالم من قيام الطائفة القاديانية باصدار ترجمات لمعاني القرآن الكريم بهدف الكيد للإسلام والتضليل لعامة المسلمين مؤكدة ان هذا العمل فيه تحريف للكلم عن مواضعه وتاويل الآيات وتاويلات باطلة ومن هذه الترجمات : الترجمة التي وضعها الضال محمد علي ونشرها واتخذت منها هذه الطائفة سبيلاً الى التضليل ، وحيث ان هذه الترجمة التي زعموا انها ترجمة لمعاني القرآن الكريم وما تلاها من الترجمات التي تصدر عنهم كلها باطلة يكذبها التفسير الصحيح للقرآن وآياته الماثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه والتابعين وائمة المسلمين في مختلف العصور فضلاً عما فيها من التاويلات الفاسدة التي تابها العقول السليمة وباباها نظام القرآن الكريم البالغ ، والتي قصدوا بها التأييد لاضلاقتهم المذهبية ، ذلك قرر المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي بالاجماع بطلان هذ الترجمة للقرآن وتحذير المسلمين في سائر بلاد الاسلام وغيرها من هذه الترجمة وامثالها .

مجلة رابطة العالم الاسلامي — مكة المكرمة



إعداد الأستاذ : فهمي الإمام

● تستضيف وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية عددا من العلماء والوعاظ والقراء خلال شهر رمضان المبارك لالقاء محاضرات وعقد ندوات في المساجد والجمعيات الإسلامية ومراكز العلم بالإضافة إلى العلماء والوعاظ العاملين بالوزارة .

● يزور الكويت خلال شهر رمضان المبارك الدكتور خورشيد أحمد لالقاء عدد من المحاضرات عن الاسلام باللغة الانجليزية .

● قررت الكويت رفع قيمة تبرعها لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين من ٢٢.٠ ألف دولار الى ٤٠.٠ ألف دولار .

القنصلية : يقوم مجمع البحوث الإسلامية بالاعداد لمؤتمر علماء المسلمين الثامن الذي تقرر عقده في ١٥ نوفمبر القادم .

● أصدرت وزارة الأوقاف تعليماتها إلى القائمين على شئون المساجد بمنع السياح الذين يرتدون الملابس القصيرة والمالبس غير المحتشمة من دخول المساجد .

الكويت : عاد حضرة صاحب السمو الشيخ صباح السالم الصباح أمير البلاد المعظم إلى أرض الوطن بحفظ الله ورعايته بعد أن قضى فترة الراحة والاستجمام في ربوع لبنان الشقيق .

● يقوم سمو نائب الأمير المعظم ولي العهد الشيخ جابر الأحمد الصباح بزيارة للمملكة العربية السعودية ، وسيبحث في هذه الزيارة المسائل السياسية التي تهم العالم العربي والمصالح التي تهم البلدين .

● زار سعادة الأستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الإسلامية جمهورية الصومال ، وقد تم أثناء لقائه مع المسؤولين بحث العلاقات بين البلدين ، كما زار سيادته المناطق الصناعية والزراعية .

● ترأس سعادة الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية ووزير الإعلام بالوكالة الدورة الحالية لمجلس جامعة الدول العربية .

العراق : وجه رئيس ديوان الأوقاف الدعوة لعدد من علماء المسلمين لحضور مؤتمر علماء الدين الإسلامي الذي سيعقد في بغداد عقب عيد الفطر القادم . وصرح سيادته بأنه تم الاتفاق مع جامعة الأزهر على إيفاد عدد من الأساتذة للتدريس في كلية الإمام الأعظم ببغداد ، وكذلك إيفاد عدد من الوعاظ الأزهريين للعمل بالعراق .

أخبار متفرقة

الهند : صدر العدد الجديد من مجلة صوت الإسلام الصادرة باللغة الانجليزية من كيرالا بالهند .

بريطانيا : تعكف الجالية المسلمة في بريطانيا على بحث مشكلة التعليم المختلط الذي قررت الحكومة تطبيقه في مدارس البنات الثانوية ، ومسرة المنتظر أن تخرج بقرارات في هذا الشأن .

هولندا : سيتم إنشاء أول مسجد ومركز إسلامي في مدينة أمستردام خلال شهر نوفمبر القادم ، وسيضم المركز قاعة للمحاضرات وصالة للمرض ومكتبة ، وسيؤدي خدماته للمسلمين المقيمين بهولندا .

تركيا : طالب عسدد من الصحف التركية بأعادة الطابع الإسلامي لمسجد اياصوفيا وإقامة الصلاة فيه ، وانتهاء وضعه الحالي كمكتف .

النيجر : أعلن رئيس دولة النيجر أنه سيجري قريبا إنشاء جمعية إسلامية في النيجر ، مهمتها اتخاذ الإجراءات اللازمة لأقامة جامعة إسلامية ، وتوزيع الأموال المخصصة لبناء المساجد وتنظيم الحج ، والعمل على تطبيق تعاليم الدين الإسلامي ونشر اللغة العربية . وتمثل النيجر في الاحتفالات والمناسبات الدينية ،

أعدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مسابقة لأحسن كتاب عربي يتناول موضوعا يتصل بالحضارة العربية ويكشف عن قيمها وأصالتها ، وقد رصدت للمسابقة جائزة قيمتها ٥٠٠ جنيه مصري .

السعودية : نائذ الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي وزراء التربية والتعليم والمعارف في الدول الإسلامية ضرورة العناية بتدريس القرآن الكريم في بلادهم .

● تم اعتماد مبلغ خمسة ملايين ريال لغرض المسجد الحرام بالسجادة الفاخر ، وذلك بعد أن انتهى العمل في عبارة المسجد .

● سيتم انشاء أكبر جامع في أفريقيا في تشاد على حساب الملكة وتبلغ التكاليف مليون فرنك فرنسي ، ومساحة الجامع تقدر بسبعة آلاف وخمسمائة متر مربع .

ليبيا : ذكرت وكالة الأنباء العربية الليبية أن ليبيا صادقت على لوائح المصاف الإسلامي للتنمية ، وساهمت في أس ماله بمبلغ ٤٥ مليون دينار ليبي .

البحرين : تقرر عقد مؤتمر القمة العربي القادم في ٢٦ أكتوبر بمدينة الرباط .

عمان : أقيم في قاعة الكلية العلمية الإسلامية بعُمان حفل تأبين لمساحة المرحوم الشيخ أمين الحسيني وقد حضر الحفل كبار المسؤولين وفي مقدمتهم رئيس مجلس الوزراء والوزراء وعدد من الأعيان .

السودان : أكد الرئيس جعفر النميري حرص السودان على التضامن العربي والإسلامي وتحقيق الطمأنينة والرخاء والعمل الجاد على استعادة الحقوق السليبية ، وكان ذلك أثناء تسلمه أوراق اعتماد سفير المملكة العربية السعودية .

مَوَاقِيتُ الصَّلَاةِ حَسَبَ التَّوْقِيتِ الْمَحَايِ لِدَوْلَةِ الْكُوَيْتِ

الوقت باذن الزوالي (افرنجي)		الوقت باذن الزوالي (مري)								
جڙ	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	جڙ	شروق	ظهر	عصر	عشاء
دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس	دس
۱	۱۷	۵	۴۳	۱۱۴۳	۱۳	۳	۵۲	۱۰	۵۲	۷
۲	۱۸	۶	۴۴	۱۱۴۳	۱۳	۴	۵۳	۱۱	۵۳	۸
۳	۱۹	۷	۴۵	۱۱۴۳	۱۳	۵	۵۴	۱۲	۵۴	۹
۴	۲۰	۸	۴۶	۱۱۴۳	۱۳	۶	۵۵	۱۳	۵۵	۱۰
۵	۲۱	۹	۴۷	۱۱۴۳	۱۳	۷	۵۶	۱۴	۵۶	۱۱
۶	۲۲	۱۰	۴۸	۱۱۴۳	۱۳	۸	۵۷	۱۵	۵۷	۱۲
۷	۲۳	۱۱	۴۹	۱۱۴۳	۱۳	۹	۵۸	۱۶	۵۸	۱۳
۸	۲۴	۱۲	۵۰	۱۱۴۳	۱۳	۱۰	۵۹	۱۷	۵۹	۱۴
۹	۲۵	۱۳	۵۱	۱۱۴۳	۱۳	۱۱	۶۰	۱۸	۶۰	۱۵
۱۰	۲۶	۱۴	۵۲	۱۱۴۳	۱۳	۱۲	۶۱	۱۹	۶۱	۱۶
۱۱	۲۷	۱۵	۵۳	۱۱۴۳	۱۳	۱۳	۶۲	۲۰	۶۲	۱۷
۱۲	۲۸	۱۶	۵۴	۱۱۴۳	۱۳	۱۴	۶۳	۲۱	۶۳	۱۸
۱۳	۲۹	۱۷	۵۵	۱۱۴۳	۱۳	۱۵	۶۴	۲۲	۶۴	۱۹
۱۴	۳۰	۱۸	۵۶	۱۱۴۳	۱۳	۱۶	۶۵	۲۳	۶۵	۲۰
۱۵	۳۱	۱۹	۵۷	۱۱۴۳	۱۳	۱۷	۶۶	۲۴	۶۶	۲۱
۱۶	۳۲	۲۰	۵۸	۱۱۴۳	۱۳	۱۸	۶۷	۲۵	۶۷	۲۲
۱۷	۳۳	۲۱	۵۹	۱۱۴۳	۱۳	۱۹	۶۸	۲۶	۶۸	۲۳
۱۸	۳۴	۲۲	۶۰	۱۱۴۳	۱۳	۲۰	۶۹	۲۷	۶۹	۲۴
۱۹	۳۵	۲۳	۶۱	۱۱۴۳	۱۳	۲۱	۷۰	۲۸	۷۰	۲۵
۲۰	۳۶	۲۴	۶۲	۱۱۴۳	۱۳	۲۲	۷۱	۲۹	۷۱	۲۶
۲۱	۳۷	۲۵	۶۳	۱۱۴۳	۱۳	۲۳	۷۲	۳۰	۷۲	۲۷
۲۲	۳۸	۲۶	۶۴	۱۱۴۳	۱۳	۲۴	۷۳	۳۱	۷۳	۲۸
۲۳	۳۹	۲۷	۶۵	۱۱۴۳	۱۳	۲۵	۷۴	۳۲	۷۴	۲۹
۲۴	۴۰	۲۸	۶۶	۱۱۴۳	۱۳	۲۶	۷۵	۳۳	۷۵	۳۰
۲۵	۴۱	۲۹	۶۷	۱۱۴۳	۱۳	۲۷	۷۶	۳۴	۷۶	۳۱
۲۶	۴۲	۳۰	۶۸	۱۱۴۳	۱۳	۲۸	۷۷	۳۵	۷۷	۳۲
۲۷	۴۳	۳۱	۶۹	۱۱۴۳	۱۳	۲۹	۷۸	۳۶	۷۸	۳۳
۲۸	۴۴	۳۲	۷۰	۱۱۴۳	۱۳	۳۰	۷۹	۳۷	۷۹	۳۴
۲۹	۴۵	۳۳	۷۱	۱۱۴۳	۱۳	۳۱	۸۰	۳۸	۸۰	۳۵
۳۰	۴۶	۳۴	۷۲	۱۱۴۳	۱۳	۳۲	۸۱	۳۹	۸۱	۳۶
۳۱	۴۷	۳۵	۷۳	۱۱۴۳	۱۳	۳۳	۸۲	۴۰	۸۲	۳۷

أم المؤمنين السيدة صفية رضي الله عنها

صفية بنت حيى بن أخطب بن سعة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب
ابن أبى جبيب بن بنى النضير . وهو من سبط لاوى بن يعقوب .
.. من ذرية هرون بن عمران أخى موسى عليهما السلام .

اسمها :

أمها :

اسلامها :

بنة بنت سهول .
لما فتح المسلمون خيبر .. واستاصلوا ث
فى السبايا صفية وابنة عم لها .. ودا
الرسول صلى الله عليه وسلم بصفية فحيزت حقه ، والى
عليها رداه .. فكان ذلك اعلانا بأنه اصطفاها .
عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أخذ صفية بنت حيى قال لها : هل لك منى ؟ قالت : يا رسول
الله : كنت أتمنى ذلك فى الشرك .. فكيف إذا أمكننى الله منه
فى الاسلام ؟ .. فاعتقها عليه الصلاة والسلام وتزوج

زواجها :

تزوجت مرتين قبل الرسول : زوجها الأول : سلام بن مسكم ،
فارس قومها وشاعرهم ، ثم تزوجها بعده : كنانة بن الربيع بن
أبى الحقيق .. وقد قتل فى فتح خيبر .. وعادت صفية مع
الرسول صلى الله عليه وسلم .. فلما كانا بالصحر
وليمة العرس .. وأكل الناس من طيبات خيبر .. ثم دخل
الرسول على صفية .

روايتها للحديث :

كانت رضى الله عنها راوية للحديث وروى عنها : ابن أخوها
ومولاه كنانة ، ومولاه الآخر يزيد بن مسمع ، وزين العابدين
على بن الحسين ، ومسلم بن صفوان .
رحلت الى جوار ربها فى خلافة معاوية .. ودغنت بالبقيع مع
أمهات المؤمنين .. رضى الله عنها وأرضاها .

وفاتها :

« إلى راغبين الاشتراك »

صلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك في المجلة ، ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتغاديا لحييا في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات مننا من الآن ، وعلى الراغبين في الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متمد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالتمهدين :

- | | |
|-----------|--|
| القاهرة : | شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة . |
| السودان : | الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) . |
| ليبيا : | { طرابلس الغرب : دار الفرجاني — ص.ب : (١٣٢) .
بنغازي : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) . |
| تونس : | مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا . |
| المغرب : | الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكي . |
| لبنان : | بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) . |
| سـن : | مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٧) . |
| الربن : | عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) . |
| | جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) . |
| | الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) . |
| | خير : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) . |
| | الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) . |
| | مكة المكرمة : مكتبة الثقافة . |
| | الدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء . |
| بغداد : | وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر . |
| البحرين : | المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين . |
| قطر : | الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) . |
| ابو حبي : | شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) . |
| بيبي : | مطبعة دبي . |
| الكويت : | مكتبة الكويت المتحدة . |

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقراء في هذا العدد

- حديث الشهر للشيخ رضوان البيلى ٤
- دراسات فى القصص القرآنى للأستاذ عبد الكريم الخطيب ٦
- نقد ابن كثير للاسرائيليات للأستاذ اسماعيل سالم عبدالعال ١٢
- غزوة بدر الكبرى للدكتور عبد الله محمود شحاته ١٥
- اليهود وتأمرهم على الرسول
صلى الله عليه وسلم للدكتور محمود محمد زيادة ١٧
- أثر رمضان فى التهيئة العامة للأمة للأستاذ على القاضي ١٧
- وأما بنعمة ربك فحدث للأستاذ أحمد التاجي ١٧
- التأمين التجارى للدكتور عبد الناصر توفيق العطار ١٧
- حول ولاية الرجل على نفسه للأستاذ محمد عزة دروزة ٥١
- مجالس الذكر اللواء محمود شيت خطاب ٥٩
- دور الدين فى الوقاية من الجريمة للدكتور أحمد على الجندوب ٦٢
- مائدة القارئ ٧٠
- نظرات فى الحديث للدكتور محمد عبد الرزوق ٧٠
- الفارابى الموسيقى للأستاذ سعيد زايد ٧٠
- حدث فى المدينة المنورة (قصة) للأستاذ محمد لبيب البوهى ٧٠
- فتح مكة للأستاذ محمد رجاء حنلى ٧٠
- الفتاوى للتحرير ٧٠
- البريد للأستاذ عبد الحميد رياضى ١٠٥
- بأقلام القراء للتحرير ١٠٧
- قالت الصحف للتحرير ١٠٩
- الأخبار اعداد الأستاذ فهمى الامام ١١١
- التقويم ١١٣
- ام المؤمنين السيد صفية رضى الله عنها ١١٤